

السماء للانكليزي الكل



www.liilas.com

florist

تأليف : أريك ماريا ريمارك

ترجمة : السيد وفائي



الملاح عبد المحسن مكارى
أحمد البدرى

السماء لا تحببى أحداً

تأليف : أريك ماريا ريمارك

ترجمة : السيد وفاتى

مقدمة

مؤلف هذه القصة ابريك ماريا ريمارك من اشهر الكتاب الالمان في القرن العشرين . لمع اسمه منذ عام ١٩٢٩ حين صدرت روايته الخالدة كل شيء هاديء في الميدان القربى التي بنها انطباعه المصانقة والطلاقات خياله الفياض مع دقة تصويره لاحداث الحرب العالمية الاولى ، فجاء في اروع تصوير انساني الساب رغم الاحداث الجامدة في رقة هائلة وتجليل ببيع . ومنذ ذلك التاريخ صدرت لكتابنا العظيم عدة روايات كانت اولها فرقة الاهلام ثم طريق العودة - فيس الحياة - قويس النصر - فلاحب جارك - لفة في لشبوننة - المحطة الاخيرى - الرفاق الثلاثة - المسلة السوداء - للحب وقت وللحب وقت - الشاطرة الاخرى - الحياة المصونة .

وقد ظهرت رواية (كل شيء هاديء في الميدان القربى) في المسنما عام ١٩٢٠ ولاقت نجاحها منقطع النظر كما ترجمت الى اللغة العربية والى كثير من لغات العالم فضاقت من شهرة كاتبها . ولد ريمارك في المانيا عام ١٨٩٠ في مدينة اسبروك لان كان يعمل في مهنة تجلد الكتب . وقد اشترك ريمارك في شبابه في الحرب العالمية الاولى فتمسح باحداثها وانفعل باهوالها وسجلتها رواياته ، ثم عمل مدرسا لفترة رحل بعدها الى برلين حيث جذب انباهه العمل الصحفي فعمل صحفيا فيها . وفي عام ١٩٢٩ هاجر الى امريكا فعمل فيها واكتسب الجنسية الامريكية واقام في احدى ولايتها .

HEAVEN WAS NO FAVORITE

By

Erich Maria Remarque.



دار الكتاب الجديد

وتتميز بعض كتابات ريمارك يومئذ بالأسلوب حين لا تتعرض الرواية لشئ محدد المعالم واضح الهدف أما حين يكتب عن موضوع من الواقع فإليك تراء أسلوبا دقيقا في التحليل والعرض مبتكرا من سرد كافة الاتجاهات والافتكار وتحليل الشخصيات مع تباينها وكثرتها ، نون ميل أو انحراف لفكرة أو النفاذ عن مبدأ معين أو تهيبه . وقد ندد ريمارك في كثير من رواياته بالثأرية التي ظهرت بوانزها حينذاك غدتاها وهلجم الحروب والدم والمذابح البشرية والخراب والفناء واعتبر نصيرا للسلام داعيا له .

وعلى الرغم مما اتسمت به معظم الروايات التي كتبها ريمارك من تصوير لمعاني الحرب وانارها وبشاعة معسكرات التعذيب وتضويتها والصراع العزيب الدامي من أجل العقاد وهول أزمات المعصر ومشكلاته التي شاخت بالعالم في أعقاب الحربين العالميتين الأولى والثانية ، إلا أننا نجده يطرق بمرح أخاذ وأسلوب ممتع تسمى المعاني وارق المشاعر المحافظة الإنسانية التي ننقل إلى القلوب بحثنا بالأسلوب والوضوح والبقول والآراء والمعون والقداد . وتتلجج موجبة ريمارك القصصية يلجلى معانيها في روايته قوس النصر كما تعتبر روايته قوس الحياة إحدى القسم الأدبية حيث صور فيها آباء البشرية وعزتها وكرايتها وعدم إمكان هزيمتها أمام بشاعة التعذيب في معسكرات القوية .

ويمكننا القول بأن الأديب الألماني ريمارك يعتبر بلا ريب من أوائل الكتاب الذين أرسوا دعائم « أدب الحرب وقواعده » الذي أصبح يعد الآن ضرورة يفرضها المتكلمون المستعير للشعوب المعالم في مسيرتها نفاذا عن قضية العيش والبقاء وتحديد المصير .

ومن بين ما كتب ريمارك الرواية التي نظمها اليوم النساء لا تحاسب أحدا وهي من أقوى قصصه التي تترك أثرا عميقا في نفس القارئ ... فهي نشد انتباهه ليميش مع اثنين يصارعان القدر يحدانه بحس بلعاسيسهما وما بواجهاته من حدة الحواقف وفسوة الاحداث ودوى الأحوال وصدى الرهبة التي تجيش في صدورهما .

فهي قصة رجل اختار لحياته أسلوب المصاطرة ، داب على عشق التحديات فتهدى الزمن في مواجهة القدر ... وقصة امرأة في مقبل العمر حباها الله جبلا ساحرا اندفعت به نحو

مصيرها المخوم تضطرب بها يضطرب به الناس في حياتهم وتمتهم غير عابئة بشئ ..

كانت حياة الرجل براجل لنند من سباق الى آخر ، أما هي فكانت حياتها أياما معدودة ، ولئن استطاعت ان تعيشها بكامل بنعتها وبلفت منها ما تريد من حياة زاخرة أنها قصة المسافرة المستبينة بفرض الحياة ضد الموت . قصة تنتقل بنا مؤلفها - وكقته مصور - لو ظهر في براعة نادرة مقدرة روعة جمال الألبا ووحشتها وسحر باريس وبرودتها وجمال صقلية والبندقية وهدوء الريفيرا وجمالها . أنها قصة اثنين جمعت بينهما الصفة وطوقها المصير المخوم بلراعين فشربا كأس الحب حتى التماله غير عاشين بما قدرته لهما السماء . أن ما قدر يكون « والنساء لا تحاسب أحدا » ومصائر البشر مقترنة من يوم خلقهم على اختلاف البشر في ظروف حياتهم وما ينتهجونه من طرق للعيش والحياة .

أنا قصة احلام البقلة ، يؤدي خلالها الإبطال أنوارهم على مسرح حياة لامية تنقع بهم الى شفا الهاوية ، فيستقظون في لحظة قدر لهم فيها أن تبسد هذه الاحلام مصطدمة بالواقع المر الذي لا مفر منه .

لقد عمد الكاتب الى تحطيل مختلف ظواهر الحياة تحليلا دقيقا بنعمية بالغة رفقت به الى قمة الإبداع والبراعة ، وأنسابت في عرض أخاذ مع مختلف المشاعر والمواقف في جسارة وهدوء ، وشجاعة وكهوف وأقدام وحرص ، وحزن وأمل ، وأسى ورجاء ، وحب وبغض ، ولضحكة ولرند ... الى آخر ما يضلج بالنفس البشرية من عواطف جياشة وتوازح متباينة وأحاسيس مرهفة .

والآن أتركك أيها القارئ العزيز في رحلة ممتعة تعيش فيها أحداث هذه الرواية الرائعة بكاملها واعيدك ان تتلقى دوريا حين أقدم لك مزيدا من أئب الشرق والغرب فالى اللقاء .

الفصل الأول

توقف كلير قايت بسيارتها أمام محطة للبنزين أزيلت من حولها الثلوج ، ونادى يستدعى القائم على خدمة السيارات بها وكانت الغربان تحوم حول أعمدة التليفون ، ومن داخل الورشة تخبث طرقات تدق جسما معدنيا . وعلى دوى النغير سكنت الطرقات ، ولبى النداء ففى فى السادسة عشرة من العمر ، أقبل يساله عما يريد . وبادره كلير قايت قائلا ، وهو يغادر السيارة :
- تموين شامل
- رحلة طويلة ؟

- أجل . . أين يمكن ان أتناول شيئا من الطعام ؟
- هناك ، فى الجانب الاخر من الطريق .
ثم أردف - وكان على حذر فالثلوج متراكمة خاصة عند المعر ، والطريق معلق ضيقا لتقرير نادى السيارات ، وقد تجد مشقة فى عبوره بمثل هذه السيارة الرياضية الصغيرة .

وكان جو المطعم خائفا ، تسرى فيه رائحة الجعة الممزجة برائحة برد الشتاء الطويل ، وأمر كلير قايت بأن

يؤتى له بطعامه الى الشرفة . ولم يكن العلقس شديد البرودة في الخارج . وكنت السماء زرقاء صافية الاديح .

وجلس يتناول طعامه ، ويحتسى نبيذ ، ويستعرض ما كان من رحلته الضوئية عبر فرنسا ، ويتساءل عما أتى به الى هذا المكان . لماذا لم يول وجهه شطر ميونيخ ؟ أو ميلانو ، ترى ماذا كنت غافلا في ميونيخ ؟ أو في ميلانو ؟ أو في أي مكان آخر ؟ لقد ضلقت ذرعا بكل شيء . ضفت ذرعا بالانتقال من مكان الى مكان . أم ترائي مللت هذه الحياة غير المستقرة ، وهذا الانطلاق غير المهادف ؟ وفرغ من تناول طعامه ، ثم عاد ادراجه الى داخل المطعم . وبعد أن سال الفتاة القائمة على الخدمة بالمطعم ، أن تملأ زجاجة الخمر التي يحملها معه بكونياك المارقل غادر المطعم الى محطة خدمة السيارات ، حيث يادره الفتى مستقرا ، لماذا لم تسلك الطريق العام بمثل هذه السيارة القوية ؟ وما الذي أتى بك الى مسالك الالب ؟

ويجيب كلير فايت ، وهو يحدق النظر به ، أنتا لا تبيع دائما طريق الصواب يا ولدي ، مع ادراكنا لحقيقة ما تفعل . أن سحر الحياة ، كثيرا ما يجعلنا على تنكب الطريق السوي . هل قهمت ؟

— كلا . ستجد تليفونات التجدد على طول الطريق . فإذا ما صادفتك أية متاعب ، فما عليك الا أن تتصل بنا لنخف الى نجدتك فإن لدينا رافعات قوية ولاتنس أننا على ارتفاع أربعة آلاف قدم !

— وما اسمك يا بني ؟

— جوزنج .

— ماذا ؟

— جوزنج . هوبرت جوزنج .

— ترى هل لك علاقة قرابة . . .

— كلا . أنني من أسرة بازل جوزنج . لو أنني أنتمى الى الاسرة الاخرى ، فما كانت بي حاجة الى مثل هذا العمل ، ولكنك الان ناعما بمعاش محترم من الحكومة الالمانية .

— وفقك الله فيما تبغى يا ولدي . لقد سعدت بلقائك

— أنك تتخذ من قيادة سيارات السباق مهنة ، أليس كذلك ؟

— كيف عرفت ذلك ؟

فأوما هوبرت جوزنج باصبعه الى رقم كاد أن ينحى مدون في مقدمة السيارة . وعقب كلير فايت قائلا ، وهو يستقل سيارته ، « وبوليس سرى أيضا ! لعله من الخير للاسبانية أيداعك أحد السجن لتجنيبها كارثة أخرى . فما أن تصبح رئيسا للوزراء ، حتى يكون قد فات الاوان .

وانطلق كلير فايت بسيارته ، وهو يستعرض من أمر هذا الفتى ما أثار دهشته ؟



بعد مسيرة ساعة ، بدأ الطريق يزداد وعورة نتيجة لتراكم الثلوج . وكان في وسع كلير فايت أن يعود ادراجه ، تجنبا لما عساه أن يحدث ، ولكن التخادل لم يكن من شيمته ، وأثر أن يتوقف بسيارته حيث كان ، يدخن سجائر ويحتسى خمره ، في انظلم رحمة الله .

وبعد قليل ، تمثنت له رحمته في صورة كاسحة لتجلد ، وتقاسم كبير غابت ما تبقى من ظهره مع قائدها ، وتقدمه الرجل بكاسحته التي راحت تمهد أمامه الطريق . وتأمل كبير غابت قطع الخليل تتناثر أمامه في دوائر من الشطايا التي تعكس أشعة الشمس ، فنبذو كقوس قرح مختلف الألوان ، وبعد مائتي ياردة استقام أمامه الطريق ، وانحنى القائد بكاسحته جانباً ، ليغسح لكثير غابت الطريق . . . وامتد الطريق أمامه واندفع فيه سموداً إلى هضبة القمة التي تشرف على الناحية الأخرى من الوادي المتسع ، بقريته التي تزهو بأسطح بيوتها البيضاء ، وبكنيستها العتيقة ، وبأضواء فنادقها القليلة ، في هذه الساعة من الغسق . وتوقف كبير قايت بسيارته قليلاً ، ليملا عينيه من منظر الوادي الجميل . ثم استأنف السير في حذر وعير الطريق المنحدر الكثير المنحنيات . وأنه لو وجد في مكان ما من هذا الوادي ، المصححة القرى يقيم بها هولان ، رحيله في القيادة ، الذي أعقلت صحته منذ عام . وترر الطبيب أنه مصاب بالدرن . ولقد سخر هولان من تشخيص الطبيب - أن مثل هذا المرض لا وجود له ، في عصر المضادات الحيوية ، ومعجزات الدواء . غير أن الدواء لم يحقق معجزته المرجوة ، وبالذات مع اناس نشأوا في زمن الحرب ، وتعرضوا لسوء التغذية عاماً بعد آخر . وكان أن أصيب هولان بنزيف حاد ، قرر بعده الطبيب أنه من المنع بن سفره إلى الجبال ليصعد أشهر .

وقبل نهاية الطريق المنحدر ، توقف محرك السيارة لتعمل به فتربها تبلغ نهايته بقوة الانتفاع إلى أن بلغت الطريق السوي حيث توقفت عن السير ، فترجل منها

لتحسس المحرك . وبعد معالجة أمره تمكن أخيراً من إصلاح العطل ، ثم أدار المحرك ، وبينما كان مكباً على المحرك للتثبت من صلاحيته لح عن بعد عربة انزلاق مقبلة في اتجاهه . وما أن سمعت الجياد صوت المحرك الهادر ، حتى جفت وانددت تركض نحو السيارة . فما كان منه إلا أن قفز يمسك بزمامها محاولاً أن يهديء من روعها . وبعد بضع خطوات ، استطاع أن يوقفها ، وقد شعرت بقوة شكيمة اليد القابضة على زمامها .

وبعد أن تم له هذا ، استدار ليرى رجلاً طويل القامة ، مرتدياً معطفاً من الفراء الأسود ، وقد استقام واقفاً في العربة ، ثم راح يهديء من روع الجياد ، متحاهلاً وجود كبير قايت . وكانت إلى جانبه امرأة في مقبل العمر ، وقد اكتسب وجهها بأمارات الفزع ومضت عينها خوفاً . فيأديها كبير قايت قائلاً :

- أسف لأزعاجك . ما كان ليخطر ببالي أن الجياد في هذه المنطقة لا تالف السيارة .

وتشاغل الرجل بأمر الجياد لدقيقة أو بعضها . ثم التفت إليه قائلاً في لهجة جافة ، « ليس الأمر بجائع هذا الحد الذي خيل إليك . أن الجياد هنا لا تالف هذا الطراز من السيارات ذات الهدير الصاخب لقد كان في وسعي أن أعالج أمرها . ومع ذلك ، فأتنى شكر لك ما قمت به من أجلنا . وتهدئ له من كلمات الرجل أنه لا يريد أن يظهره بمظهر البطل أمام هذه المرأة التي تجلس بجانبه .

وتأمله كبير قايت بنظرات فأحصة . وتبين في وجه الرجل سمات الرجل المتعالي ، وملامح الساخر المتفطرس ، وكأنه يحاول أن يخفي عنه ازدياده لحاولته الظهور بمظهر البطل المنقذ لهما ، وراى أنه لم يسبق له

أن شعر يمثل هذه الكراهية لشخص بمجرد النظرة الأولى . فجابته في لهجة غير ودية
- لم تكن بي رغبة لأنفانك ، بقدر ما رغبت في تجنب
سيارتى مقبة الاصطدام بالزلزلة
- أرجو الا تكون قد تسببنا في أزعاجك .
وعاد الرجل ليتشغل عنه بجياده . . وراح كليل فايق
يحدق النظر في المرأة الجالسة بعربة الانزلاق أنها
لجديرة بأن يبدو في عينيها بمظهر البطل المنقذ .



كانت مصحة بيلافستا ، مشيدة فوق مرتفع يشرف
على القرية . وفي الميدان الفسيح أمام المصحة غادر كليل
فايق سيارته ، بعد أن أطفا مصابيحها وقام بتغطية
محركها ليحتفظ بحرارته . وسمع صوتاً يناديه باسمه من
مدخل المصحة

واستدار ليجد هولمان مسرعاً في اتجاهه . وتولت
الدوشة لانه كان يتوقع أن يجده ملازماً فراشه وسمع
يقول :

- كليل فايق ! أوحقاً ما أرى ؟
- كل الحق . وأنت ! ماذا تفعل هنا ؟ كنت اعتقد أنك
ملازم الفراش .

فضحك هولمان وربت على كتف صديقه قائلاً :
- كان هذا هو المتبع قديماً . لقد طرقت مسعى مدير
محرك سيارتك ، غير أنني لم أصدق أنني لأول وهلة ،
وخيل إلى أنني أهدي . ثم رأيتك قادماً عن بعد . يا لها
من مفاجأة ! من أين أنت قادم ؟
- من مونت كارلو .

- رياه ! وبهذه السيارة ! لقد دار بخلدى ، في وقت
ما . أنك قد أنسيت أمرى .
وربت بيده على هيكل السيارة ، التي سبق له أن تولى
قيادتها مع كليل فايق في أكثر من سياق ، وفي آخر مرة
قادها دأهيه المزيف . ثم استطرده قائلاً :
- لقد قدم العهد بها .
- أجل . أنها لم تعد تصلح للسباق . لقد ابتعتها من
المصنع . أنها في عداد المتقاعدین .
- كما هو شئنى
- أنك لست من المتقاعدين . ما أنت إلا في إجازة
مؤقتة .

- لعام بأسره الية إجازة هذه ! هيابنا . اذ يجب ان
نحتفل بتدويك . ما هي خمرك المفضلة في هذه الايام ؟
أهي التودوكا ؟

- لا تقل أن المصحة تقدم لكم خمرًا ؟
- للزائرين فقط . . انها مصحة من طراز عصرى .
- وما أحسبها الا كذلك . أنها تبدو كفندق كبير .
- وأن تبدو كذلك جزءاً من العلاج . أنها نظريات
العلاج الحديثة . فهم يشعرونك بأنك ضيف تستشفى ،
ولست مريضاً يعالج . حريصون على عدم ترديد
كلمتى « المرض » و « الموت » في هذا المكان أنها الكلمات
المحرمة . أن الناحية النفسية لها أهميتها لرفع الحالة
المعنوية لمرضى المصحة . غير أن هذا كله لا يجدى عندما
يحم القضاء . ماذا كنت تفعل في مونت كارلو ؟ هل
أشركت في سباقها ؟

- أجل . ألم تعد تطلع على أنباء الرياضة ؟
- كنت أفعل ذلك في أول الامر ، ثم امتنعت .

- سنعود للاضلاع عليها بعد ان تستأنف عملك .
 - هذا ما ارجو ان يتحقق . ترى من كان رميلك في السباق الاخير ؟
 - تورياني .
 - واتجها معا الى المدخل . وتامل كليز فايث المبني وما يحيط به قائلا :
 - انه لمكان جميل .
 - بل قل مسج جميل .
 - ولم يعقب كليز فايث بشيء . لقد كان يعرف الكثير من السجن الاخرى . وانبرى هولمان يسأله :
 - هلا يلازمك تورياني في كل سباق ؟
 - كلا . اني في انتظار عودتك . لذلك لن ارتبط باحد سواك .
 - ولم يكن كليز فايث صادقا فيما قال . لان تورياني كان زميله في كل سباق خلال السنة اشهر الاخيرة . وقد وجد كليز فايث فرصة سانحة للكذب الابيض . بعد ان علم من هولمان انه لا يتابع اثناء الرياضة . وقد كان لتضريح كليز فايث احسن الاثر في نفس هولمان . ثم سأله :
 - هل فزت بشيء في هذا السباق الاخير ؟
 - كلا . فقد كنت من الاواخر .
 - من اين بدأت السباق ؟
 - من فيينا . ثم تكن الفكرة حوفقة . وكان هذا هو اول سباق اشفرت فيه بالسيارة الجديدة .
 - لعل فشلك كان انتقاما لسيارتنا السابقة .
 - هيا بنا لنقتاروا ما وعدتني به من مشروب . وانى لارجوك الا تحدثني بشيء عن السباق اثناء اتقامتي هنا .
 - وعن أي شيء آخر سنتحدث . هل حدث شيء ما ؟

- كلا ، كلا . كل ما في الامر انني ضجر متعب . واريد ان انسى ، ولو لفترة قصيرة ، هذا العمل الجنونى الذى يعرض حياة الكثيرين للخطر .
 - ماذا استجد من امور ؟ انك لم تكن لتتحدث بذلك من قبل .
 - لاشيء . لاشيء .
 - انني لا اسدق شيئا مما تقول . ترى من عساه ان يكون الضحية الاخيرة ؟
 - انه فيرير . في سباق على الشاطئ .
 - لقتل لا .
 - كلا . ولكنهم اضطروا ليعر احدى ساقيه . وهذه البارونة التي كانت مدلهة في حبه ، تسنت عليه بالزيارة . الى بكاس من الخمر . دعنا من هذا الحديث المقبض .
 - وجلسا في البهو ، الى مائدة صغيرة بجوار النافذة . وتامل كليز فايث ما حوله قائلا : « وهل جميع هؤلاء من المرضى ؟ »
 - كلا . منهم صيوف قدموا لزيارة مرضاعم .
 - ترى هل المرضى منهم هم صفر الوجود ؟
 - كلا . اتهم الصيوف . اما الآخرون الذين خيل اليك انهم الاصحاء ، فهم نزلاء الصحة . لقد استعادوا الكثير من صحتهم نتيجة لانقامتهم الطويلة هنا .
 - واقبلت فتاة تحمل كوبا من عصير البرتقال لهولمان ، وغلبته صغيرة من الفودكا لكليز فايث . واستفسر هولمان من كليز فايث عن الفترة التي يعقزم قضاءها معهم .
 - بضعة ايام . اين يمكنني ان اقيم ؟

— اعتقد أن خير مكان يصلح لاقامتك هو فندق بالاس ،
ففيه بار بديع .

وكيف عرفت هذا ؟

— أننا نتردد عليه من آن لآخر ، خلسة . وهذا لا يكون
الا ليلا ، وأن كان هذا مخالفا للتعليمات ، وذلك حينما
تسند بنا الأفكار السوداء ، وما احسب سلوكنا هذا ، الا
خيرا من الدخول في مناقشة مع الاقدار عن السبب فيما
نزل بنا من علة . أننا نتردد على الفندق لمعاينة الخمر ،
وفيها نجد السلوى .

وأخرج هولمان من جيبه زجاجة صغيرة من الجين
سب منها قليلا في كوبه . فسأله كليبر فايت :

— ألا يسمحون لكم بتعاطي الخمر ؟

— بالقليل منه ولكن ليس الى الحد الذي يرضينا ؟
وعندى أن طريقتي أفضل

وتوقفت عربة الاتزلاق أمام باب المصححة . ورأى فيها
كليبر فايت نفس العربة التي التقى بها وهو في طريقه الى
المصححة . وترجل منها الرجل ذو المعطف الاسود . فسأل
كليبر فايت صديقه :

— هل تعرف من عساه أن يكون هذا الرجل ؟

— أنه روسي يدعى بوريس قولكوف .

— أهو من الروس البيض . . ؟

فأجاب هولمان : — نعم . ولكنه لم يكن من عضاء
الدوقات ، وإن لم يكن فقيرا . وقد فهمت أن والده أودع
في الوقت المناسب مبلغا ضخما في أحد بنوك لندن ،
ولكنه ذهب الى موسكو في وقت غير مناسب فاعتقل
وقضى عليه بالاعدام ، وهربت زوجته وابنتها الى الخارج
وهي محملة بأكداش من الجواهر .

— انك لعمرى مكتب للمعلومات .

— وهذا ما يسلينا هنا . . أن أمرار الناس هي حديث
المجتمع في هذه المصححة .

— وهل هذه المرأة زوجته ؟

— كلا .

— وهل هما من المرضى نزلاء المصححة ؟

— أجل ، وأن كان لا يبدو عليهما ما يوحي بذلك . أن
المرأة هي التي تقيم بالمصححة ، أما الرجل فيقيم
بالخارج .

وتوقف القادمان قليلا بجوار الباب . وبدا أن الروسي
يلح في حديثه الى صاحبته . وبعد أن وقفت تصفى اليه ،
بدا أنها تشاطره رايه وانصرفت عنه معرضة . ووقف
الرجل يتأملها برهة ، ثم انصرف مستقلا عريته .
وعقب كليبر فايت على ما شاهده بقوله
— يبدو أن بينهما خلافا .

— هذا ما يحدث كثيرا . وهو نتيجة لما يشعر به المرضى
من ضيق نفسى . أن حكمهم على الأمور ليس كشكم
غيرهم . أنهم يجعلون من الهنات جسائم الأمور .
واتفق كليبر فايت مع هولمان على تناول العشاء معا في
قاعة الطعام المتخصصة للضيوف بالمصححة .

وقبل أن يغادر كليبر فايت مكانه ، كانت المرأة القادمة
مع الرجل الروسي قد عادت من مؤخرة اليهو الى حيث
كان هولمان جالسا يتبادل الحديث مع كليبر فايت قبل
انصرافه . واخبرته بما كان بينهما وبين كبيرة المرضات
بسبب مغادرتها للمصححة مخالفة بذلك أمر مدير
الستشفى . وبعد أن انقضت بما لديها وتقدم هولمان
اليها كليبر فايت :

- ليليان ، صديقتي كليلر فاييت ، لقد حدثتني عنه كثيرا .
لقد فاجأني بزيارته .
وأومات إليه برأسها وهي شاردة الفكر ، وبدأ أنها لم
تتعرف على كليلر فاييت ، بل التفتت إلى هولمان مستطردة
في غضب ، « أنها تريد مني أن أوى إلى القراش » وذلك
لأنه سبق أن اعترفتني قوية من الحمى منذ بضعة أيام ،
ولكنني لن أصدع بأمرها . على الأقل هذا الساء ! ماذا
أنت فاعل ؟

- سنتناول طعام العشاء في قاعة الضيوف .

- ساكون معكما .

وحيتها منصرفه . واستفسر كليلر فاييت عن عساها
أن تكون المرأة .

- أنها تدعى ليليان دنكرك . نصف بلجيكية ، ونصف
روسية . لقد فقدت والديها في الحرب .

- لقد بدت لي في حالة نية طبيعية . منفعلة من لا
شيء .

- هذا هو شأنهم جميعا . وبالذات حينما تحدث وفاة
في الصحة .

- وهل حدث شيء من هذا القبيل ؟

- أجل ، إحدى صديقاتها . كان هذا بالاسم فقط .

- أن الموت قدر محظوم في كل مكان .

الفصل الثاني

إذا ما تجاوزنا الطابق الأول ، لوجدنا أن المصحة لم
تعد تشبه الفندق ، وأنها تبدو في ثوبها الحقيقي -
مستشفى بكل معنى الكلمة .

ووقفت ليليان دنكرك أمام باب الغرفة التي كانت من
قبل غرفة أجنيس سومرفيل ، وسمعت أصواتا
وضوضاء ، وفتحت الباب .

لم يعد النعش موجودا بالغرفة . وكانت الشواهد
مفتوحة على مصراعيها . وكانت الغرفة خادمتان تقومان
على نظافتها . ومن أرضية الغرفة كانت تنبعث رائحة
البيزول والصابون ، ورأت ليليان في جو الغرفة ما لم
تألفه من قبل ، وحيل إليها أنها أخطأت المكان .
واستجمعت قواها أخيرا لتستفسر من الخادمتين عما
كان من حال المفوضة . فأجبتا أحدهما :

- لقد نقلت إلى رقم ٧ . كان علينا أن نقوم بتطهير

الغرفة ، قبل أن يشغلها مريض جديد

وأغلقت ليليان الباب شاكرة . وكانت تعرف ماذا تعنيه
عبارة رقم ٧ . أنه مدلول غرفة صغيرة بجوار المصعد
الخلفي . وهناك تودع جثث الموتى ليسهل نقلها ليلا

تصيح السمع . وخيل اليها أنها سمعت حفيف ثوب
حريري . فتمرعت تضيء نور الغرفة . وسرعان ما
اكتسح ضوء المصباح الكهربائي القوي ظلام الليل ،
وضوء القمر ، ورهبة الرعب . أن هذا الحفيف ليس
سوى حفيف ثوبي الحريري . رباه ! ماذا دهاني ؟
ورفتت تحديق النظر في النعش . كلا ، أن هذا
الصندوق الاصم من الخشب الأسود لا يمكن أن تكون به
حياة . انه يحتوي على اقصى ما يتهدد الانسان من مصير
مظلم . ان من أودعت به لم تعد صديقتها أجنيس سومر
قيل ، ولا جثتها المسجاة في رداها الابيض . كلا ، أن
هذا الصندوق لا يصم سوى العدم ، وظلا لا ظل له ، وهذا
الغناء الذي يكمن في الحياة منذ أول الخلق وينمو معها ،
الى أن تستهلك يوما بعد يوم ، ولا يبقى منها غير العدم .

ومدت يدها تلمس مقبض الباب . وما أن فعلت ذلك
حتى فتح الباب ، فندت عن صدرها صرخة مكتومة .
ووجدت امامها أحد الحراس يحديق النظر دهشا .
وبادرها قائلاً ، بحق السماء ، كيف دخلت ؟ لقد
كانت الغرفة مغلقة . . . أين المفتاح ؟
- لم يكن الباب مغلقا .

- إذن فلا بد وان أحدا قد . . . آه ، ان المفتاح
لم يزل في مكانه من الباب . . . لقد خيل لي .
- ترى ماذا دار بظلك ؟
لقد خيل الي أنك . . .
ثم أوما بسببائه الى النعش . فهمست ليليان قائلة :
- تماما . . .
- ماذا تعنين ؟
- لا شيء .

بواسطة هذا المصعد المخصص لنقل الامتعة .
هذا هو الانسان يحمل بعد موته كالجماد ، ونظير
أثاره بالنيوزول والصابون . . . !
لم تكن الغرفة مغلقة بالمشاء . وكان النعش مغلقا بعد الان
يحمل . وكانت توافذ الغرفة مفتوحة وسنائرهما غير
مسددة ، وقد نفذ ضوء القمر من خلالها . وكان جو
الغرفة متغاضي البرودة .

وكانت ليليان تريد أن تلقي نظرة أخيرة على
صديقتها . ولكنها عادت متأخرة ، ولم يعد في وسعها
ذلك . أنهم سيقومون بنقل النعش في جناح الظلام الى
مكان حرق الموتى . وهناك ستصير هذه الجثة الى العدم
وتصبح رمادا ومجرد ذكرى .

وقامت ليليان النعش . . . وتبادر الى ذهنها أن الحياة
قد دبت في جسد صديقتها ، وأنه ليس بمستبعد أن تعود
أجنيس الى وعيها . ألا يحدث مثل هذا من حين لآخر ؟
صحيح أن مثل هذه الحالات قليلة ، ولكن كم من الحالات
شاء حظ أصحابها العائر الا تكتشف قبل أن يختنق
الموتى ؟ ألا يحتل أن تكون أجنيس إحدى هذه الحالات .
وأنها تحاول في هذه اللحظة أن تخترق بصوتها جوانب
النعش المحكم الاغلاق ؟

- هل أصيبت بلوثة ؟ ما كان لي أن أقدم على دخول هذه
الغرفة . . . لماذا فعلت ذلك ؟ أو كان هذا بدافع من عاطفة ؟
ثم كان هذا بدافع من فضول ؟ وما هو السبب في تلك
الخواطر المتدافعة في ذهني المضطرب ؟ أهو الظلام
ورهبة الموت ؟ أنتي بحاجة الى الضوء . ان الظلام يبعثنا
كثيرا عن واقع الحياة .
واستدارت تحطو نحو الباب . وفجأة توقفت حيث هي

وتقدم الرجل خطوة من النعش قائلا :

- أنت لم تدركي ما أعني . لقد خيل الي أنك هي -
ولقد فزعت لجرد هذا الخاطر . لقد فرغنا لتونا من
تزيينها .

- نعم . . : أعطيناها رقم ١٨ . . اننا لا نهتم
بالاسماء . . انها عندنا مجرد رقم

وأخرجت ليليان من حقيبة يدها بعض القشع النقدية :

- اليك بهذه في مقابل ما سببته لك من فزع

فشكرها الحارس ، وأردف قائلا :

- لا تبتئس يا سيدتي . هذا هو مصيرنا جميعا .



وتلقت راجمة الي غرفتها ، وأضاءت جميع
مصابيحها ، وظلت واقفة وقد استغرقت في تفكير عميق .
أن الليل يفزعني . ترى ماذا أنا فاعلة ؟ هل أتعاطي
منوما ، ثم أوى الي فراشي بعد أن اترك هذه المصاييح
مضاءة ؟ أم هل اتصل تليفونيا ببوريس لتجاذب اطراف
الحديث ؟

ومدت يدها نحو الجهاز ، ولكنها لم ترفع الساعة من
مكانها . أنها كانت تعرف سلفا ماذا هو قائل لها . كما
كانت تدرك أنه على حق فيما سيجدها به أن المنطق أن
يجدى في مثل هذه الظروف . أن للناس مشاعرهما التي
تسيطر عليهم في مثل هذه الاحوال ، وأمام العاطفة لا
يوجد محل للعقل .

واستقرت في مقعد بجوار النافذة . أنشئ في الرابعة
والعشرين من عسري ، وهو ما بلغته اجنيس من عمر عند

وفاتها . ولقد أمضيت في هذه المصحة ثلاثة أعوام من
سنى حياتي . ومن قبل قضيت من عسري ست سنوات
تقريبا ، كانت فترة حرب عالمية طاحنة . ماذا أعرف عن
الحياة ؟ لست أعرف سوى الندم ، والدموع والرعب ،
وموت الوالدين ، والجوع ، والهروب من بلجيكا ، ثم
هذا المرض الذي كان نتيجة لسوء التغذية والتشرد .

وقبل ذلك ، لم أكن سوى طفلة ساذجة ، ولا أكاد أن
أذكر كيف تبدو أذن في زمن السلم . أن كل ما يطبق
بذاكرتي هو الاظلام والسيل المظلم من القنابل ، ثم
الإحتلال ، والخوف والتوازي ، والبرد . أما السعادة ؟
تلك الكلمة التي طالما أوجت الي بالأحلام الرائعة - ما
أبعد ادراكي لمعناها . لقد كانت سعادتني في غرفة غير
دافئة ، ورغيف من الخبز ، وجدر منزو . وأخيرا انتهى
بها المطاف الي هذه المصحة .

وتطلعت يعتيها من النافذة لترى عربة نقل قد وثقت
بباب المصحة . لعليها في انتظار نعش اجنيس سومرفيل
منذ عام كانت اجنيس قد قدمت الي هذه المصحة
ضاحكة ، مندثرة في فراشها تحمل بين يديها باقة من
الورد . وها هي الآن تحمل خفية من الباب الخلفي ،
وكأنها سقط المتاع .

ومنذ ستة أسابيع ، كانت تتحدث الي ليليان عن
خطئها بعد مناداة المصحة . الرجل - أنه السراب الذي
لم يصبح حقيقة الحلم الذي لم يتحقق .
وسمعت رفين التليفون . وترددت قليلا قبل أن تجيب
النداء .

- بوريس ، أجل . أجل . سأحاول أن أكون عاقبة -
أجل ، أعرف أن هذا هو ما يحدث في كل مكان ، ولكن

انسان - أجل ، انه عقبر على جميع البشر - أنتى أدرك هذا تمام الإحراك - أجل ؛ وأعرف أن الكثيرين من المرضى يقدر لهم الشفاء من ملتهم - كلا ، لا حاجة بك للحضور . . أجل ، أحبك ، بكل تأكيد .

وأعادت السماعة الى مكانها . وعمست قائلة وهي تتأمل صورتها فى المرآة ، العقل ؛ . . وشعرت بأنها ترى أمامها وجها غريباً عنها ، بنظرات أنكرتها وعاقلة ؛ رباب : لقد كنت عاقلة أكثر مما يجب وفيم أفاننى هذا ؟ أو لتكون نهاينى أخيراً الى العرفة رقم ٧ بجوار المصعد الخلفى ؟ مجرد شيء يودع فى صندوق خشبى اسود يفزع منه الناس .

والقت نظرة على ساعة يدها . انها لم تبلغ بعد التاسعة . وهاهو ذا الليل أمامها حالك الظلمة ، يمتد الى حدود الأبد ، بجنيات من الملل والانتباض - مثل الحياة الرتيبة ، وانتباض الوجود العليل .

ونفضت ليليان عن مقعدها . قلم يعد لها قبل بهذه الوحيدة المفروضة عليها « لا بد وانها ستجد من تقضى معه بعض الوقت بالطابق الأول - على الأقل هولمان وصديقه الضيف .



وكان بالقاعة ، بخلاف هولمان وكليز فايت ، ثلاثة من مواطنى أمريكا الجنوبية ، رجلان وامرأة بدينة مكتنفة الوجوه . وكانوا جيبيليرتدون ثياب الحداد ، جالسين فى صمت مطبق .

وتحدث عنهم هولمان قائلاً :

- أنهم قادمون من بوجوتا ، بناء على برقية من

المصحة . أن ابنة أحد الرجلين كانت تحتضر . غير أن الفتاة قد تحسنت حالتها قليلاً بعد قدومهم . وهم الآن فى حيرة من أمرهم - هل يعودون أدراجهم أم يمكنون . - لماذا لا تتخلف الأم ويعود الرجلان ؟

- ليست هذه المرأة والدتها ، انها زوجة أبيها . وهي التى تقوم بدفع نفقات إقامة الفتاة . وفى الحق أن أحدا منهم لا يرغب فى البقاء ، بما فى ذلك الوالد . لم يكن يعنيه من مانويلا سوى دفع نفقات اقامتها وهذا ما كان منهم طوال خمس سنوات . وما ثم تبلغ حالة مانويلا الصحية حد السوء واليأس ، ما كانوا ليتفكروا فى زيارتها . لقد قدموا استيقاء لشكليات المجتمع . وقد رأت الزوجة الثرية الغيور الاندع زوجها يحضر بمفرده فأصرت على أن تصيحه وأصطحبت معها شقيقها - الرجل الآخر . ويقولون فى بوجوتا أن الزوجة هى صاحبة الاقتراح بالحاق الابنة بالمصحة لإبعدها عن والدها ولقد رأت باصرارها على السفر مع زوجها أن تصيب عصفورين بحجر واحد ، ملازمة زوجها ، وتأكيد عيها لابنة زوجها ، نفياً لما يتقولون به عليها . - وماذا عن مانويلا ؟

- لقد رفع قدومهم من حالتها المعنوية ، وكان هذا هو السبب فى تحسن صحتها . غير أن ضيوفها بدأوا يضحرون ، وما أحسبهم بعد أسبوع إلا نائمين عليها سببته لهم من أزعاج .

- وانى لك كل هذه المعلومات ؟

- لقد قلت لك انه لا توجد هنا اسرار . لقد أنضت زوجة الاب بدخيلة نفسها الى المرضة كورثيليا التى تلم باللغة الإسبانية .

وتبص الثلاثة المنتشجون بالسواد ، ولم يكن احدهم قد نطق بكلمة واحدة . ومشوا في مسف متتابع الى الباب .

وكادوا أن يصطدموا بليليان فنكرك ، التي أقيمت مسرعة بصورة افزعته المرأة البدينة التي انتحلت جانباً لتفسح الطريق لها فزعته . وانتهت ليليان راساً ، وهي تكاد أن تركض ، الى حيث كان يجلس كل من هولمان وكليرفايت . ثم استدارت وتطلعت الى الزائرين الثلاثة :

— ترى ماذا افزعها ؟ ما احسبني شبحاً ؟ أم قرأني كذلك ؟ يبدو أنني اسبب الفزع للجميع الليلة . فسألها هولمان :

— ترى من كنت سبباً في فزعه سواها ؟
— الحارس .
— ولكنك لا نفرعينا .

واستفسرت منه عن رئيسة الممرضات قبل ان تجلس فقال لها :

لم أرها بعد . غير أنني لا أستبعد قدومها الآن لتلقى بنا خارج القاعة . أنها كجندي البروسي صرامة ودقة . — يمكننا ان نقتسل الى الخارج الليلة . جوزيف هو الحارس .

— الى أين ؟ الى فندق بالاس ؟
— وهل يوجد ما هو أصح منه ؟
وانبرى كليرفايت قائلاً ، لن نجد ما نبحث عن ترفيقه .
أنني قادم لتوي من هناك .

فضحك هولمان قائلاً : « أننا لا نبحث سوى التغيير . أن أي مكان خارج المصححة يعد مثيراً لنا . أنك بعد قضاء

فترة هنا لن تصبو الى الكثير . وأسرع ليليان تقول : « يمكننا ان نجعل بالتنفيذ الآن ، قبل أن يتضم الحارس الآخر الى جوزيف » .

فأجاب هولمان : « أشعر بوعكة هذا المساء . ربما كان هذا بسبب ما فوجئت به من اثاره . قد لا استطيع التسلل هذه الليلة . وماذا عن بوريس ؟ لن ينتظر ؟
— أنه يعتقد أنني أوبت الى فراشي .

— هاهي رئيسة الممرضات قد اقبلت .
وعند الباب ، كانت تقف الرئيسة . وبابتسامة مقتضية يادرفهم قائلة :

— أي طيور الليل ، كما كنتم دائماً . لقد آن وقت الانصراف . هيا ، كل الى فراشه ! أن الغد يوم آخر . وتبصت ليليان محففة : « وهل أنت واثقة من قدوم الغد ؟ » .

— كل الثقة . . . ستجدين العقار المهدىء فوق دمنضدة الفراش . أرجو لك ليلة هادئة واحلاماً سعيدة .



وعتب هولمان على قول الرئيسة : « ترى لماذا تحرج الممرضات على معاملة كل زائر في المستشفى بمعاملة الاطفال القصر أو السذج الغافلين ؟ »

وكان ثلاثتهم واقفين بالردعة أمام باب المصعد . وسالت ليليان الضيف الجديد ، الى أين أنت ذاهب ؟
فأجبتها كليرفايت قائلاً : « الى فندق بالاس » .
— هلا اصطبحتي معك .

— ولم لا ؟ هل ترغبتين في ذلك الآن ؟ هيا بنا .
— كلا عليك بمغامرة المسحة من الباب الرئيسي ،

حيث تقف كبيرة المعرضات للمراقبة . ثم اتجه رأسا الى حيث تستأجر عربة جليد ، تعود بها الى الياق الخلفي للمصحة ، حيث ساكون في انتظارك .
- حسنا .

وانبرى هولان يعتذر الى كلير فايت عن عدم مصاحبته له ، ثم استقل المصعد مع ليليان . واتجه كلير فايت صوب باب الدخول الرئيسي حيث وجد كبيرة المرشحات فحياها تحية المساء ، منصرفا .



مضى في سبيله الى أن وجد بغيته . وعاد بعمرية الانزلاق الى الباب الخلفي للمصحة حيث وجد ليليان في انتظاره ، وقد ارتدت معطفا من الفراء الاسود . وقالت له :

- كل شيء على ما يرام . لقد تسلمت المفتاح من جوزيف في مقابل زجاجة من الخمر .

واستقرت الى جواره في دعة . وسألته ان يشعل لها لقافة تبغ . فلما استفسر منها عما اذا كان مصرحا لها بالتدخين ، اجابته في حدة بأنه غير محظور عليها ذلك . وأدرك من لهجتها أنها لا تصدقه القول . وبعد ان قدم اليها بغيتها ، سألته في هدوء :

- من اين بدأت رحلة اليوم ؟ من مونت كارلو ؟
- من فيينا .

- فيينا ؟ عاصمة النمسا ؟

- فيينا بالقرب من ليون . أنها مدينة فرنسية هادئة ، صغيرة ، تعرف بأن أحسن مطعم في فرنسا - مطعم البيرايد .

- هل جئت عن طريق باريس ؟
- كلا ، أنها بعيدة الى الشمال .
- أي طريق سلكت ؟
- الطريق العادي . طريق بازل .
- وكيف وجدته ؟

وتساءل فيما بينه وبين نفسه دهشا عن السر في كل هذه الاسئلة عن الطريق الذي سلكه في رحلته .
وأجابها :

- طريق يمتد تحت سماء مكفورة وبين حقول متشابهة ، الى أن يبلغ بك جبال الالب ، وكان يستمع ترديد انفاسها . ثم استطاع أن يرى وجهها على ضوء مصباح منبعث من متجر للساعات ، وتبين فيه امارت الدهشة ، والسخرية ، والحزن . وسمعها تردف قائلا :

- «ريف ممتد مستو ؟ رباد ! أنني أجود بأي شيء في سبيل الأري هذه السلسلة عن الجبال التي تحيط بي ، - ولجأة ، أدرك السبب الذي من أجله تلح قسي استفساراتها عن الطريق الذي سلكه ، وكيف كان يبدو فقد كانت هذه الجبال بمثابة الجدران التي تحول بين نزلاء المصحة وبين ما يضطرب الناس قيسه من حياة عادية . أنها كانت تعني لهم الامل والرجاء ، وان كانوا لا يستطيعون منها فكاكا . لقد كانت دنياهم قاصرة على هذه البقعة من الكون بعيدا ، بحيث كان العالم الخارجي يبدو لهم فردوسا مفقودا .

وسألها : كم من الزمن قضيت هنا ؟

- ثلاثة اعوام .

- ومتى يتيسر لك الرحيل ؟

... فلتسأل في ذلك مدير المصححة . أنه يعدني من شهر
لاخر باقتراب اليوم الموعود - تماما كما تفعل الحكومات
المشرفة على الافلاس بتجديد خطتها الرباعية فقرة بعد
أخرى .

وتوقفت عربة الانزلاق عند احد منحنيات الطريق
الرئيسي ، حيث اعترض سبيلهم فريق من هواة الانزلاق .
وقالت ليليان في عصبية يادية :

— ان مثل هؤلاء يبذلون الكثير في سبيل زيارة هذا
المكان ، بينما تجدنا على استعداد للتضحية بأى شيء في
سبيل مفادرتة . . اليس في هذا ما يدعو للسخرية ؟
— هذا يتوقف على الزاوية التي يرى من خلالها المرء
هذا المكان .

واستأنفت العربة مسيرها ، وسألته ان يشعل لها لفاقة
تبع أخرى . وبعد فقرة تأمل استطردت قائلة :

— لست أدري ما اذا كنت تعي ما أقول وتترك كنهه
ان شعورنا هو شعور المعتقلين في معسكر لا يعرفون شيئا
عن اليوم الذي ينطلقون فيه منه .

— انني ادرك هذا الشعور تمام الإدراك ، لانني كنت في
معسكر اعتقال في يوم ما . ان أي مكان تقيد فيه حرية
الإنسان ، هو في نظره سجن ، حتى ولو كان الجنة ان
الحرية هي حلم المرء الذي ينعكس على العالم الخارجي ،
و لو كان صحراء جرداء .

— وكيف تخلصت من سجنك ؟

— كنت قد أعددت خطة للهروب .

— وهل وفقت ؟

— أجل . والاما كنت معك الان ؟



توقفت العربة امام الفندق . وتبين كثير غابيت ان
ليليان لا ترتدى الحذاء المطاط الواسع . فحملها بين
ذراعيه من العربة الى باب الفندق قائلا : لم تصنع الاحذية
البريكية لخوض الثلج . هل تذهب الى البار ؟ .
— أجل . انني بحاجة الى كأس من الخمر .

وفي حانة القندق ، اتخذتا لهما مائدة في ركن منها .
وأمر الساقى بان يأتيهما بشراب يبعث الدفء في
أعراقهما . وراها تحديق النظر فيه لتستشف حقيقة

أمره ، والاسلوب الذي ينتهجه في معاملته لها ، فقد كانت
تخشى ان يعاملها معاملة المرضى — تلك المعاملة التي
اصبحت عقدها النفسية .

وعاد الساقى بالنيبذ . وبعد ان اودع الكؤوس المائدة
قال :

— انت مطلوب في التليفون ، يا سيدي .

— عن عساه ان يكون ؟

— لست أدري ، يا سيدي . وهل اعود لاستفسر .

فنهض كبير غابيت عن مقعده . وعندئذ قالت له ليليان

— انها رئيسة المرضعات ، ما في ذلك من شك .



بعد ان عاد كبير غابيت ، سألته ليليان :

— هل هي رئيسة المرضعات ؟

— كلاً . انها مستشفى مونت كارلو ، حيث توفي

صديق لي .

— هل من المتعين عليك ان تعود الى هناك ؟

— كلاً . لا يوجد ما يدعو الى شيء من هذا القبيل .

لقد كنت أفضل له ان يموت .

— كيف؟

— لانه كان سيقضى البقية الباقية من حياته فى حالة عجز تام ، اثر اصابتها فى حادث تصادم بسباق كان يشترك فيه .

وحالقت ليليان فيه غير راضية عما سمعته ثم سمعها تقول له فى صوت خافت يغض اشمئزازا :
— او ليس من حق العاجزين أن يعيدشوا ؟

واتر كلير غابت الا يبادر بالاجابة ان صوت السراة الاجش — تلك المرأة التى اتصلت به تليفونيا — لم يزل يترده بصداه المعدنى :

« ماذا قرأتى فاعلة ؟ ان فيرر لم يترك بنسا واحدا . فلتسرع بالعودة ! اننى فى حيرة من امرى . انها مسئوليتكم جميعا . انتم وسباقكم اللعين . »
وابعد عن خاطره ما انطبع فى ذهنه من اثر لهذا الحديث ، وعقب على لومها له قائلا :

— ان الامر يتوقف على تقدير الظروف الخاصة لكل حالة . ان هذا الرجل كان مدلها فى حب امرأة خدعته بكل ما لوثيت من وسيلة . وكان بهوى السباق الى درجة الجنون ، وان كان لم يقدر له ان يوفق فيه . لقد كانت كل امانيه فى الحياة ان يفوز فى مباريات السباق الكبرى ، وان يحتفظ بحب هذه المرأة . وقد قضى نحبه قبل ان يكتشف حقيقة وضعه من الامرين — كما انه رحل عن هذه الدنيا دون ان يعرف ان تلك المرأة لم تقف الى جانبه بعد ان بتوت ساقه . ومن هنا ، رايت ان هذه النهاية كانت خيرا له .

— وما ادراك انه لم يكن متملقا بالحياة ، على الرغم من هذه الظروف ؟

واتر كثير غابت ان يتخزم جانب السميت ، وراح يستعرض ما قاله وما سمعه منها . كما عاد يستعرض حديث المرأة التليفونى ، وما واجهته به ؛ وأخيرا قال فى صبر ناضج :

« لا يمكن لاحد أن يهرب مما قدر له ، ولا يعرف أحد شيئا عن كيف ومتى سيحل به قدره . قيم التعلق بأهداب حياة طويلة ؟ ان هذا ليس سوى التمسك بماس طويل المدى . اما المستقبل فليس بأطول مدى من حركة نفس قد تتوقف فى أعقاب أخرى لتردد فى صدورنا والانسان عاجز عن الاحاطة بها حوله فيما عدا ذلك . فلتشرب نخب هذا . »

— نخب ماذا ؟

— نخب العدم . . او فولى نخب قليل من الشجاعة .
— لقد ضقت ذرعا بالشجاعة ، وبالوأساة ، أيضا .
فلتحدثنى بما تبدو عليه الحياة عبر هذه الجبال .
— سماء مكفهرة لم يتوقف مطرها لعدة اسابيع .
— اما هنا ، فلم تمطر السماء منذ شهر أكتوبر الماضى . نحن لا نرى هنا سوى الثلوج المتساقطة . . لقد كدت أن أنسى كيف تكون الامطار .



وحين مغادرتها للفندق كان البرد ينشاط . وأوما كلير غابت الى عربة انزلاق ، استقلها الى الباب الخلفى للمصحة .

وقالت ليليان له وهى تهم بمفادرة العربة :
— شكرا . ومعدرة — فقد كنت بشس الرفيق . غير أنه لم يكن فى وسعى أن أنفرد بنفسى الليلة .

— وهذا ما كان من شأنى . . . أنا الآخر .

— أنت ؟ ولماذا ؟

— السبب واحد . ولقد حدثتك بما كان للمحادثة
التليفونية من وقع غي نفسى . تلكه المحادثة من مونت
كارلو .

— ولكنك قلت أن وفاته كانت من الخير له .

— إن قولى هذا لا يعنى أنتى لم أفقد صديقى . إن
الإقوال أحيانا لا تعبر عن حقيقة ما يشعر به الانسان
تعبيرا سهلا . انيك هذه الرجاجة من الفودكا . . لينة
عادية .

الفصل الثالث

صحا كلير فايت على صبح يوم معتم وسماء مليدة
بالغيوم . وعلق الساقى على هذا الطقس بقوله :
« ياتلك الرياح الدافئة التى تشعر الانسان بالانهاك
والضجر . . ! انها لتضاعف من شعور المرء بالأم جراحه
القديمة . »

— هل أنت من هواة الانزلاق على الجليد ؟

— كلا . إن جراحى من مخلفات الحرب .

— كيف لسويسرى أن لا يهوى الانزلاق ؟

— اننى نمساوى . ولقد مضت وولت تلك الايام التى
كنت أمارس فيها هواية الانزلاق على الجليد . لقد تركت
لى الحرب ساقا واحدة . وهذا الطقس الدافىء يضاعف
من شعورى بالالم . وقد كانت برودة الطقس أن تنسينى
اياها .

وقرر كلير فايت أن يؤجل رياضة الانزلاق فى هذا اليوم
العاصف . علاوة على ما كان يشعر به من صداع شديد .
بسبب اسرافه فى الشراب عقب عودته ليلا . لقد أثارت
فيه هذه الفتاة الشديدة التعلق بالحياة ما كمن من مشاعر

وآمال . كما بعث فيه موت صديقه من الهواجس ما رسب
فى قاع وجدانه . . . لقد كاد أن يتجاوز ربيع الحياة . . .
يلون هدف ، ويدون معين .

ونهبض يرتدى معطفه ، الذى وجد فى أحد جيوبه قفاز
ليليان المخملى الاسود ، وكانت قد نسيتته فوق المائدة فى
الليلة السابقة . وأعاد القفاز الى جيبه ، ليعيده اليها
فيما بعد .



مشى على غير هدى فرق الثلوج ، الى أن حبلته قدماء
الى مبنى صغير مربع الشكل ، بعيدا عن الطريق على
مشارف الغابة . وكانت تعلوه مدخنة ينبعث منها
الدخان . وأثارت فيه رؤية هذا المبنى ذكريات بذل
قصارى جهده طوال هذه السنين ليحموها من ذهنه وينسى
أمرها . واستفسر من صبي عما عساه أن يكون هذا
المبنى ، فأجابه بأنه دار حرق الجثث .

أذن ، فلم يكن مخطئا فى حدسه .
وعقب على أجابة الصبي قائلا :

— هنا ؟ ولماذا تحتفظون بدار لحرق الجثث ؟

— هذا بناء على طلب المستشفيات .

— وهل بلغ عدد الموتى هذه الكثرة ؟

— لم يعد عندهم بالكثرة التى كان عليها من قبل . . . إن

الشتاء هنا طويل قاس . وفى الشتاء يصبح من المعتاد
شق الأرض . . . أن تشرة الأرض تصبح صلدة كالصخر ،
ويبلغ عمق الجليد أمتارا . ولذلك كان من الأيسر حرق
الجثث ، أولى من محاولة دفنها ، أو شحنتها فى السفن فى
صناديق من الزنك الى حيث تتسلمها أمرها . أن الناس

يميلون الى الاقتصاد فى النفقات ، والزمن يتغير ،
وأساليب التفكير قد تغيرت أيضا .

— أنك فتى ممتاز ، واسع الاطلاع ، سليم التفكير .

— لقد تعلمت من والدى الكثير . لقد كان متمهدا لنقل

الموتى سابقا ، وسافر الى كثير من البلدان .

— وما هو عمله الآن ؟

— بائع زهور . فهذا المتجر الموجود فى مواجهةنا هو

بستقره الآن . اذا ما كنت بحاجة الى شىء منها ،

فستجدها لدينا بأقل سعر .

وفكر كثير فابت مليا . باقة من الازهار؟ ولم لا ؟

أوجد ما يمنع من أن يبعث بباقة منها الى تلك الفتاة

الناشرة المقيمة بالمصحة ؟ انها قد تثلج صدرها . وبأ حبذا

لو اكتشف أمر الباقة صديقها الروسى . واتجه الى

المتجر .

وخف لاستقباله رجل قصير القامة يرتدى حلة داكنة

النون . وتامله كثير فابت بعينين قاحصتين . كما جال فى

أركان المتجر بنظرات قاحصة . ووجد أن المتجر لا يحوى

عن الازهار سوى العادى المتواضع ، اللهم الا قلة لا تتفق

والمكان ، وراح الرجل يطرى هذه المجموعة بشيدا

بجمالها ، وحادثة عهدا . وأمره كبير فابت باعداد باقة

منها . ثم أخرج قفاز ليليان المخملى الاسود من جيبه ،

قائلا :

« وهل يمكن وضع هذا مع الباقة . وهل أجد لديك

بطاقة ومظروقا ؟ »



قفل كبير فابت واجعا الى القرية . وشعر بأن رائحة

الدخان المتصاعد من دار حرق الموتى لا زالت تزكم أنفه ، رغم أنه كان بعيدا بحيث لا يمكن أن تحمله إليه الرياح . ان هذه الرائحة ليست سوى رواسب ذكريات سابقة لاقران كانت تشتعل ليلا ونهارا - تك بالافران بقرب المعسكر الذى كان معتقلا به وهذه الذكريات التى كان يريد ان ينسى أمرها .

ودخل إحدى الحانات ، وأمر بإعداد مشروب قوى فى كأس مزدوج . وبعد أن التى بمحتويات الكأس فى جوفه ، أمر بإعداد آخر ، وراح يتلوه ، ويعبث بالكأس بين أصابعه ، مستغرقا فى تفكير عميق .



وبعد هذا ذهب الى الجاراج ليطمئن على سيارته . وكانت السيارة مودعة فى الناحية الأخرى منه ، ومعدمتها الى الجدار . وتوقف كبير فايت عن السير عند المدخل . واستطاع أن يرى من حيث كان ، شخصا ما يجلس الى عجلة القيادة . واستفسر من مدير الجاراج : « ترى هل من داب عمالك أن يفعلوا هذا ؟ » - أنه ليس بأحد عمالي . . انه رجل يزعم أنه صديق لك .

وراح كبير فايت يحدق النظر فى الجالس الى عجلة القيادة ، الى أن عرف فيه صديقه هولمان . وسأله المدير : - اليس كذلك ؟

- بلى . منذ متى كان قدومه ؟

- منذ دقائق فقط .

- وهل هذه هى أول مرة ؟

- كلا . لقد حضر فى الصباح المبكر .

وكان هولمان جالسا الى عجلة القيادة ، موليا ظهره الى كبير فايت . وليس من شك فى أنه كان يجلس جلسة الحالم بأنه يقود سيارته فى السباق . وبعد أن وقف كبير فايت يتأمله قليلا ، انسحب فى هدوء الى الخارج . وقد أوعا مدير الجاراج بأن يتبعه ،

- لا تقل له أنني كنت هنا ورأيت . دعه يفعل بالسيارة ما طاب له . . واليك مقاتيح السيارة لعله أن يسئلك تسليمها له . فإذا لم يفعل هذا ، فلتدع المفاتيح فى السيارة بعد رحيله . استعدادا للمرة القادمة . هل فهمت ما أعنى ؟

- أجل . أنك تريد منى أن أدعه يفعل ما يشاء بالسيارة بما فى ذلك الانطلاق بها .

- تماما . فلتترك له مطلق الحرية ، كان السيارة ملك له .



فى ساعة تناول طعام الغداء بالمصحة التقى كبير فايت به ، وبدأ هولمان متعبا . وبأدب صديقه قائلا : « تلك الرياح الدافئة ، أنها تشعر المرء بأنه ليس على ما يرام . وانها لتجعل من النوم شيئا صعب المنال . كيف قضيت ليلتك ؟ !

- لقد تعاطيت كثيرا من الخمر .

- بعد أن افترقنا .

- فى ملقس مثل هذا ، يلزم كل منا فراشه .

وتطلع كبير فايت فيما حوله . ولم يكن بقاعة الطعام

كثير من الناس . وكان الضيوف الذين من أمريكا

الجنوبية قد اتخذوا لهم مجلسا في ركن منها . أما ليليان
فلم تكن موجودة .

ويادر كلير فايت صديقه بسؤاله :

— هل غادرت المصحة اليوم ؟

— كلا . هل سمعت شيئا عن فيرر ؟

— لقد وافقه المنيّة .

وران عليهما صمت مطبق . ولم يكن ثمة ما يقال في
هذا المجال .

وأخيرا قال هولمان : « ماذا تزمع عمله بعد ظهر
اليوم ؟ »

— سأنام قليلا ، ثم أقوم بجولة . لا تشغل نفسك
بأمري . اننى أنعم بفترة استرخاء هنا .

وفتح باب القاعة . ووقف به بوريس فولكوف يجيل
عينيه ، ثم أوما برأسه محييا هولمان وقد تجاهل كلير
فايت . ثم أغلق الباب منصرفا .

وانبرى هولمان قائلا : — انه يبحث عن ليليان . والله
يعلم أين هي الآن . كان ينبغي أن تكون في حجرتها .

ونفض كلير فايت وهو يقول : « سأصرف لاستريح
قليلا . الحق معك أن الطقس اليوم لا يطاق . هل يمكن أن
تشاركنى طعام العشاء الليلة ؟ »

— بكل تأكيد . اننى اليوم أحسن حالا .

— إذن : فليكن لقاؤنا في الثامنة مساء ، بهذه القاعة .

— في السابعة ، ما لم تكن ترغب في تناول عشاءك في

مكان آخر ؟ بدأت تشعر بالسأم ؟

— كلا . فلم يسبق أن أتحت لي فرصة للاستجمام مثل

هذه الفرصة . أن السأم أصبح من الأمور النادرة في

عصرنا هذا لم يعد العالم ليعرف غير الحركة الدائبة .

هل تريد أن أتيك بشيء خاص معي ؟

— كلا . شكرا . وبالمناسبة ، مستقيم إحدى الايطاليات

حفلا اللينة هنا . انها تدعى مارييا سافيني . وستقام

المأدبة في الخفاء ، بدون أدنى شك .

— وهل دعيت الى هذه المأدبة ؟

— أنهم يقيمون مثل هذه المآدب دائما بعد وفاة أحد

المرضى . . لقد حلت ساعة التبلولة . . اضطلع

مسترخيا في هدوء . الى اللقاء ليلا .

وأخيرا توقف السمال . . واستلقت ليليان دنسكرك

منهوكة القوى . لقد دفعت ثمن ما أجهدت به نفسها طوال

الامس ، ليلا ونهارا . وكانت تترقب في صبر نافذ قنوم

المرضة . وكان هذا اليوم ، هو اليوم المحدد لصورة
الاشعة .

وعلى الرغم من أن دخولها غرفة الاشعة كان روتيننا

متجددا ، الا انها كانت تشعر بالحرج من وقفها نصف

عارية خلف الشاشة ، وقد كشفت الاشعة عن دقائق
جسدها ، ما بطن منه وما ظهر .

واقبلت المريضة أخيرا ، وبادرتها ليليان بسؤالها :

— ترى من سبقتني الى الفحص ؟

— الانسة سافيني .

— ونهضت ليليان تتبع المريضة الى المصعد . وعلقت

منها بما طرأ على الطقس من تغير . وراحت تستعرض

في خاطرها ما سيعقب هذا من جو رطب ، وهواء ثقيل ،

وضيق تنفس في الصباح . والتقت بماريا سافيني خارج

غرفة الاشعة . واستفسرت منها ليليان عما كشفت عنه
الاشعة ، فأجابتها :

— لم يصارحتى الطبيب بشيء . ماذا ترين فى ثوبى هذا ؟

— رائع !

— هل حاز اعجابك حقا ؟ انه من فلورنسا . هل ستبين دعوة الليلة ؟
— لم اقرر بعد .

— يحسن بك ان تشاركينا هذه الامسية . لقد حصلت على اسطوانات جديدة من أمريكا .

واسرعت ليليان بدخول غرفة الاشعة ، تلبية لاستدعاء الممرضة لها . ووجدت مدير المصلحة فى انتظارها . وبعد ان اطلع على الرسم البياني لدرجات الحرارة ، راح يتمم بشيء الى مساعده ، دون ان تثبين ليليان شيئا مما كان يقوله . وبعد ان نحى الرسم البياني جانبا ، شرع فى فحصها بالاشعة ، فى تأمل واهتمام . وطالت فترة الفحص عن ذى قبل ، الى ان شعرت ليليان بالاجهاد وراح كبير الاطباء يناقشها ويحاورها ، وكانت رئيسة الممرضات قد انقضت اليه بشيء .

وأدركت ليليان من ملابسها هذا الفحص ، الذى تجاوز حدود ما سبقه ، ان حالة رئتيها لم تتحسن ، بل ازدادت سوءا . والحت على الطبيب فى ان يصارحها بحقيقة ما أسفرت عنه نتيجة الفحص ، فقال لها فى اقتضاب :

— يحسن بك ان تلازمى الفراش لبضعة ايام .

— ان ملازمة الفراش تضاعف من سوء حالتى .

— اذن ، فليكن هذا قاصرا على اليوم فقط ، على الا تغادري غرفتك لبضعة ايام .
وأمر لها بالعلاج المناسب .

عادت ليليان الى غرفتها ، وصبت لنفسها كأسا من الفودكا ، وراحت تتأمل مسورتها فى المرآة ، لتتثبت من انها لم تزيد نحولا . وما ان سمعت وقع أقدام الممرضة التى كانت تنحى اليها طعام عشاها ، حتى أسرعته حتى الرجاجة بين طيات الفراش .

وبادرتها الممرضة معنفة : ، لماذا لا تلازمين فراشك كما أمر الطبيب ؟ اليك هذه اللقافة التى أرجح ان بها أزهارا .

ومبار الى ذهن ليليان انها من بوريس ، الذى انفت منه ذلك ، فلم تمرع بفضها .

وبينما راحت ليليان تلتقط القليل عن ضعافها ، كانت الممرضة تقوم بأعداد فراشها . ثم سألتها أخبرا :
— ألا تحيين سماع الراديو ؟
— الامر عندى سيان .

وبدأت الممرضة تدبر الراديو ، عتقولة بين مختلف المحطات ، الى ان توقفت عند احدى اذاعات باريس ، التى كانت تذيع عزفا على البيانو لقطعة موسيقية من روائع ديبوسى . ووقفت ليليان بالنافذة تنتظر فى صبر نافذ انصراف الممرضة بعد ان تفرغ من عملها . وسمعتها تسألها ؟ هل تعرفين باريس ؟
— أجل .

— لم يسبق لى ان زرتها . لا بد انها مدينة رائعة .

— حينما كنت فى باريس ، كانت مدينة عظيمة ، قائمة ، مقبضة ، يحتلها الالمان .

— لقد انتهت هذه الظروف الشاذة الان . وليس من شك فى انها عادت الى سابق سيرتها قبل الحرب . الا تتوتين الى زيارتها ثانية ؟

- كلا . ان زيارة باريس في الشتاء غير مرغوب فيها . هل فرصت من عملك ؟
- تقريبا . وفيم العجلة في مكان مثل هذا ؟
واخر غادرت الممرضة الغرفة واسكتت ليليان الراديو .

نعم ، أنها لملى حق فيما قالت فلا يوجد في هذا المكان ما يدعو الى العجلة . ليس ثمة سوى الحياة المملة الرتيبة . حياة كلها انتظار وترقب .

وشرعت تفحص اللقافة . . وما ان وقع نظرها على ما بها من ازهار ، حتى تركتها تسقط من بين يديها وكانها رأت في طياتها حياة تسمى . وراحت تحديق النظر في زهرة الاوركيدة المستقرة بين قديميها . انها تعرف هذه الازهار ، أم تراها مجرد مصادفة ؟ ويائها من مصادفة . ان الزهر يتشابه . ولكنها كانت تشعر في قرارة نفسها ان هذا التشابه ليس من قبيل المصادفة . ان زهر الاوركيدة ليس مما يوجد في هذه القرية . لقد حاولت ابتياع البعض منها ، وبعد ان اعيهاها البحث بعثت في طلبها من زيورخ . وراحت نحصى زهر الباقية ، فوجدت عددها مطابقا لعدد ما كان بالباقية الواردة من زيورخ . انن ، فليس ثمة مجال للشك . . ان هذه الباقية هي بذاتها الباقية التي اودعتها نمشي اجنيس سومرغيل . رياه ! ما هو تحليل ذلك ؟ هل هي دعابة سخيفة من بعضهم . ولماذا ؟ وكيف يحدث هذا ؟ كيف عادت هذه الباقية الي ؟ وماذا يعني هذا القفاز المودع معها ، وكأنى به يد الموت السوداء تمتد الي منذرة متوعدة ؟

وخطلت تبعد عن هذه الباقية وكانها أقمى سامة شريرة ان هذه الباقية لم تعد في جمال الزهور . لتعد

جعلت ملتها بالموت شيحا كريها بغيضا . وسارعت لتلتقطها وتلقى بها من فمذة غرغتها .

وعادت لترى القفاز المخملى الاسود لم يزل في مكانه فوق الارض . واستطاعت ان تتعرف عليه أخيرا ، وتبادر الي ذهنها أنها نسيت بهانة الفندق حينما كانت في رفقة كلير فايت . كلير فايت ! وما هي علاقته بهذا كله ؟
واتصلت به تليفونيا . وسألته ،
- هل بعثت بقفازي ؟

- أجل . لقد وجدته فوق المائدة بعد انصرافك .

- وهل بعثت الي مبتقة من زهر الاوركيدة ؟

- أجل . وكانت بطلاقتي مرفقة بها .

- بطلاقتك ؟ ومن أين حصلت على هذه الباقية ؟

- من متجر لبيع الزهور . لماذا ؟

- وهل هو من متاجر القرية ؟

- أجل . . فم اسألنك هذه ؟ هل هي مختلصة ؟

- لست أدري . ربما .

- هل أحضر اليك ؟

- أجل .

- متى ؟

- في عدي ساعة .

- فليكن . وليكن اللقاء عند الباب الخلفي .

- تماما .

وأعدت سماعة التليفون الي مكانها وهي تحدث نفسها قائلة :

- الحمد لله . ها هو رجل لا يتعين على أن أتقدم اليه بببررات بافضل . . هاهو رجل ليس يتقبل على

بأسئلته . ها هو رجل لا يعنيه من امرى شيئا ولا تظلمته
حالتى الصحية ، مثل بوريس .
وعند الباب الخلفى . كان كبير فايت فى استقبالتها .
وكان قد رأى باقة الزهور ملقى بها فوق للجليد .
فقال لها بعد أن حياها :

— الا تحبين زهور الأوركيدة ؟

— من أين حصلت عليها ؟

— من متجر للزهور عند حشارف القرية . صا
صارحتنى بجنية الأمر ؟

— هذه الباقة .. هى بذاتها الباقة التى كنت قد
أودعتها نمش صديقتى بالاس . ان المسحة لا تحتفظ
بشئ من هذا القبول . لست ادرى كيف ؟

— رباه ، ان هذا المتجر يقع أمام دار حرق الجثث
تقريبا .. أنه متجر صغير .. ولقد تساءلت فيما بينى
وبين نفسى . أتى مثل هذا المتجر مثل هذه الزهور . هذا
يفسر ..

— ماذا تعنى ؟

— اعنى أنه بدلا من أن تحرق الباقة مع الجثة ، اخلس
أحد العمال الباقية وياعها الى المتجر .

— كيف يحدث هذا ؟

— هذا هو التفسير الوحيد لما كان . ان زهور الأوركيدة
تتشابه ، ثم أن من فعل ذلك ما كان ليخطر بباله وقوع مثل
هذه المصادفة . ان تعود الباقة لمن سبق ان ابتاعها .

وتأبط كبير فايت ذراع ليليان قائلا : « من الأفضل ان
نتخذ من ذلك مادة للشحك من غريرة الجشع المتصلة فى
الانسان . فأننا ان لم تفعل قتلنا الاى كندا على ما
يصايفنا فى عصرنا هذا . »

— او بلغ الجشع بالانسان هذا الحد ؟ ان يسرق
الثوى .

— هونى عليك .. علم بنا تناول شرابا فى مكان ما .
وفتح باب عربة الانزلاقى . واستنقلها معا الى
الفندق ، حيث تبعها الى الداخل وهو يقول : « ليكن
حديثنا هذا المساء عن سطحيات الحياة . »

ويعد ان أمضيا بجانة الفندق حوالى الساعة ،
يتجادبان أطراف حديث عادى ، وقع نظر ليليان على
بوريس يجتاز الباب . فقالت :

« ها هو بوريس . . كنت أتوقع هذا . »

وأقبل الروسى عليهما قائلا . وقد تجاهل وجود كبير
فايت :

— ليليان ، ان عربتك فى انتظارك بالخارج .

— لست بحاجة إليها الليلة .. هذا هو مستر كبير
فايت . لقد التقيتما من قبل .

ونفض كبير فايت عن مقعده متثاقلا ، وانبرى فولكوف
قائلا : « حقا ؟ هذا صحيح . معذرة لقد كنت تقود سيارة

السباق التى جعلت منها الجياد . »

ولم يعقب كبير فايت بشئ . ولس لهجة التعالى فى
صوت فولكوف . ومع ذلك ، فقد ظل واقفا والتفت بوريس

بقول ليليان .

— هل نسيت ان الغد هو اليوم المحدد لاعادة فحصك
بأشعة اكس ؟

— ثم أنس .

— يجب ان تنالى قسطا من الراحة وتخلدى للنوم .

— أعرف هذا . لم يزل الليل طويلا .

كانت تتحدث فى هدوء وعلى مهل ، وكأنها تجيب طفلا
قاصر الفهم . وأدرك كبير فايت ان هذا الاستلوب هو

الوحيد الذي يعكثها به السيضة على اعصابها . ورثى
لجال الروسي الابيض لما أقحم نفسه فيه . ووجد نفسه
يقول له :

- هلا تفضلت بالجلوس ؟

ويجيب فولكوف ببرود : كلا . . . شكرا .

« وكأبه كان يتحدث الى الساقى القائم على خدمتهما .

ثم التفت بوريس الى ليليان قائلاً :

- اذا كنت تريئين استعمال العربية .

- كلا ! قلت لك اننى . . .

وكان كليز فايت قد ضاق سرعا بهذه المناورة ، فتدخل
قائلاً فى هدوء :

« لقد اصطحبت الاتسة دتترك الى هنا . واعتقد ان فى
وسعى العودة بها من حيث قدمنا . »

وحدج فولكوف بنظرة فاحصة لاول مرة . وقال له
مبتسماً وقد غير من لهجته :

« اخشى انك لم تفهمنى ، غير اننى اعتقد انه لا جدوى
من الدخول فى التفاصيل . »

ثم انحنى محبباً ليليان قبل ان ينصرف الى البار .
وجلس كليز فايت غير راض عن نفسه ، وهو يتساءل عما

هو بسبيله . . انراه ما زال فى العشرين من عمره ؟
وسألها قائلاً : « لماذا لم تعودى معه ؟ »

- اتريد ان تتخلص منى ؟

وتأملها قليلاً . انها تبدو فتاة وديعة لا حول لها ولا
قوة ، والوداعة أخطر سلاح فى يد المرأة .

ثم أسرع يجيبها ، « كلا ، بكل تأكيد . اننى سعيد
بصحبتك . »

ودارت بعينيهما فى الحانة؛ لتجد أن بوريس قد اتخذ له
مائدة بعيدة عنهما ولم ينصرف . فقالت :

- انه لم يفتد الامل بعد . . انك لم تفهمه على
حقيقته انه ليس بالقيور .

- كيف ؟ او حقاً ما تقولين ؟

- أجل . انه قلق من اجلى ، لا وفقاً بيدي اهتمامه
بحالتى الصحية .

وضب لها كليز فايت كأساً ، ثم اردفه بكأس له .
وقال :

« سنرى ما سوف يكون من أمره . . »

وكانا يتطلعان من أن لآخر ناحية المائدة التى كان
يجلس اليها بوريس فولكوف . وقال لها كليز فايت :

- يبدو انه عصبى المزاج ؟

- ان الجميع هنا يبيون كذلك وحتى صديقه هولمان
عصبى المزاج أيضا . . انه يهم بالانصراف .

- وماذا عنك . ألم يكن من المستحسن ان تكونى الآن
فى المصحة ؟

- من يدري ؟ وعن هو المسئول ؟ هلم بنا نرقص .

وظل كليز جالساً فى مقعده . وحملت ليليان فيه
دهشة وهى تقول :

- او أنت الاخر قلق من اجلى ؟ او تعتقد انه لا يجب او
ما كان يجمل بى أن . . .

- اننى لا اعتقد شيئاً . . كل ما فى الامر، اننى لا
استطيع ان ارقص . ان احدى ساقى لا تصلح لذلك . غير

انه اذا ما كانت هذه هى رغبتك ، فى وسعنا ان نحاول .
ونهبضاً معا الى حلقة الرقص . وسمع ليليان تقول

له .
- لقد كانت جنيس سوسر قبل نعليك وأمر مدير

المصحة وتبع تعليماته حرفياً . . ومع ذلك ماتت .

وأقبل قولكوف ، يحمل كأسه في يده . وحمدت الله ،
لأن هذا يعني عدم اعتزازه القاء موعظته المألوفة . وبعد
أن صب لنفسه كأسا من الزجاجاة الموضوعة أمامها
بالشرفة ، شرب نخب صحتها قائلًا :

- هل حدثك كبير الاطباء بشيء عن صور الاشعة ؟
- كلا . وبماذا يحدثني ؟ اننى لا أريد أن أعرف شيئًا .
- دعينا من هذا الآن . هل ترغبين في كأس أخرى ؟
- كما تشاء .

وكانت تعلم أنه يمارض في تعاطيها الخمر ، وإن كان
حريصا على عدم مواجهتها بهذا في تلك اللحظة .
وبعد أن نحت كأسها جيدًا ، بادرت به تائلة :

- بوريس ، أئنا بفهم الواحد منا الآخر جيدا .
- أحقا ما تقولين ؟
- أجل . وانتك لتدرك هذا مثل ادراكى له ، وفى هذا
مبعث شقاؤنا .
- قاجابها ضاحكا ، « وبالذات حينما تهب الرياح
الدايفة » .

- ان الامر غير قاصر على ذلك .
- أو حينما يحيط بنا بعض الغرباء .
- أرايت . « أنك تدرك ما أعنى . ألم أقل لك اننا
متفاهمان . أنك تعرف عنى كل شيء مقدما . وهذا هو
مبعث قلتي . لماذا لا ألمس منك بوادر الفيرة ؟
- كيف ؟ اننى الرجل الغيور دائما .
- ورنت اليه بنظرة متسائلة : « ممن ؟ من كلير غايت ؟ »
- فهز رأسه نفيا . فعادت تساله :
- إذن ، فما هو مصدر غيرك ؟
- ونشاء قولكوف ألا يجيب بشيء . ترى ، فبم سوء الفهم

الفصل الرابع

كان الهدوء يسود الصحة ، وقد أخذ المرضى الى
الزاحة المقروضة عليهم . وكانوا مضطجعين في صمت .
في أسرتهم وفوق مقاعدهم المستطيلة ، يستنشون من
رئيتهم الهواء الدافئ الذى يطارد المرض ويغالبه .
وكانت ليليان دنكر قد اتخذت من شرفتها مكانا
متعزلا لقضاء هذه الفترة العلاجية . وكان الليل قد ولى
بأشباحه ، وأقبل الصباح يعيد للقلوب المزرعة نور
اليقين .

ونهضت الى التثيقون تجيب النداء . بوريس - كلا .
بكل تأكيد لا - كيف تكون النهاية اذا ما فعلنا ذلك ؟ -
فلتكف عن مثل هذا الحديث - يمكنك أن تزورنى - بدون
ادنى شك . أجل اننى بمفردى .

وعادت الى الشرفة . وترددت لحظة قبل أن تصب
لنفسها كأسا من الفودكا . وبعد قليل سمعت باب غرفتها
يفتح فقالت :

« بوريس ، صباح الخير . هل لك في كأس من
الفودكا ؟ يمكنك أن تصب كأسا لى . »

هذا ؟ وماذا تعرف هي عن الغيرة ؟ أن الغيرة لا تبدأ
بشخص ، ولا تنتهى بنهايته . أنها شعور يبدأ بالهواء
الذى يتنفسه من نحب ، ولا ينتهى أبدا ، حتى يوفاة هذا
الشخص .

واستطردت ليليان تناقشه :

— بوريس ، من ماذا ؟ هل هو كبير غابت من انارفريك
هذا الشعور ؟

— لست ادرى ، ربما كان هذا مما جملة مع الينا .

— وما عساه أن يكون هذا الشيء ؟ هون عليك . أن

كثير غابت سيمود من حيث أتى بعد بضعة أيام ولن
يصبح أكثر من ذكرى ، تنسى أمره أخيرا .

ورأت عليهما صمت مطبق ، بينما كان فولكوف جالسا
يتصفح كتابا بين يديه . وظلا في مجلسهما هذا ، الى أن
نقذت أشعة الشمس ، فانعكست على عينيها المغضبتين
وقطعت حبل الصوت بقولها :

— بوريس ، اننى أشعر بالرغبة فى القيام بعمل

جنونى . كان أحطم هذه الحلقة الزجاجية التى حولى ،

منطلقة على غير هدى — ولكن ما يكون .

— لعل الكثيرين يريدون سلوك هذا المسلك .

— وهل أنت منهم ؟ أنت ممن تتنازعهم هذه الرغبة .

— أجل .

— إذن ، ما الذى يحول دون تنفيذ هذه الرغبة ؟

— لان تنفيذها لن يغير من الأمر شيئا . لئن فعلنا

ذلك ، لما شهورنا بكثير من أن الحلقة تزداد احكاما

ومناعة . وحتى اذا ما تبسر لنا تحطيمها ، فستصيبننا

ثظايا ، وتترف دساؤنا حتى الموت . .

— وانت الآخر؟

وقابل بوريس الفتاة النحيلة الجالسة أمامه . . ما أقل
ما تعرفه عنه ، على الرغم مما تعتقده من فهمها له ،
وأخيرا ، وجد نفسه يقول لها ، وأن كان يعلم بأنه لا يقول
صدقا .

« لقد دققت مصيرى مستسلما راضيا وعلينا ، قبل أن
تحترق بنار كراهيتنا لواقعتنا ، أن أحاول تقبله بقبول
حسن . »

وسمرت ليليان بهوجة طاغية من الضجر . . ها هما
يعودان الى المناقشة والى دائرتها المفرغة التى تشعر
معها وكأنها أسيرة فى خيوط نسيج العنكبوت . . قد
يكون فيما يقوله كل السواب ، ولكن انى يجدى هذا ؟

لماذا لا ينصرف الان ؟ ولماذا أشعر بالرغبة فى لومه
على الرغم منى ؟ ولماذا أشعر بالمثل الى التحقير من شأنه
لان مقامه قد طال بهذه القرية ، أكثر مما طال مقامى ،
ولانه يرى بقاءه من زاوية تختلف عن الزاوية التى أراه
منها ؟ لماذا يثير حفيظتى أن أرى فيه الرجل السجين الذى
يحمد ربه لعدم تنفيذ حكم الاعدام فيه .

ونفض فولكوف ، بحجب شعاع الشمس عنها بمظلة
الشرقة ، « انقاموزر ستغادر المصححة غدا . . أنها لباردة
طيبة . »

— أعرف ذلك . لقد سبق أن غابرته مرتين من قبل .

— ولكنها فى هذه المرة قد شقيت تماما . لقد أخبرتنى

رئيسة الممرضات بذلك .

وسمعت فى هذه اللحظة ، صوت هدير سيارة كبير

غابت قبل أن تتوقف . وتساءلت عن السبب فى حضوره

بها ، فقد كانت هذه أول مرة يستقلها منذ يوم وصوله .

وبعد نصف ساعة ، سمعت ليليان صوت سيارة كبير
فايت وهي تبعد عن المصحة . وكان يوريس قد انصرف .
وظلت مستيقظة في مقعدها برهة ، مغمضة العينين .
ثم نهضت ، وغادرت غرفتها الى الطابق الارضى .
ولفرط دهشتها ، ابصرت كبير فايت جالسا فوق مقعد
في مواجهة المصحة . فخرجت اليه تقول :
« لقد خيل الى أنك انطلقت بسيارتك . »
ثم جلست الى جانبه . واجابها :
« كان هذا هو هولان . »
« هولان ؟ »

« أجل ، بعثت به الى القرية لابتياح زجاجة فودكا .
« مستقلا السيارة ؟ »

« أجل . » لقد كان جد سعيد بقيادته للسيارة بعد هذه
الفترة من الحرمان الطويل . وما أظنه الا اجتازها بها
حدود ما سائته أيام . أن بها من الوقود ما يكفي لأن
يتوجه بها الى زيورخ .

« ماذا تقول ؟ وكيف يتطلق بسيارة مكشوفة ؟ أو
تسبب أنه مريض ؟ »

« كلا ، لم انس . اننى أعتقد أن هذا سيرفع من روحه
المعنوية . »

« وإذا ما أصيب بنزلة برد ؟ »

« أنه متدثر بثياب ثقيلة . »

« أو لا تدري ماذا تعنى النكسة له ؟ أن مجرد تعرض
أى منا لنزلة برد قد تكون فيها نهايته . »

هزمتها كثير فابتت بنظرة فاحصة . وبعد أن بلا عيبيه
من جمالها ، انبرى قائلاً :

« وإذا لا تطبقين هذه المبادئ على نفسك قبل أن

تنصحى بها غيرك . أما كان ينبغي لك أن تذكرى هذه
الارشادات ، حينما كنت ترتدين ثوبا خفيفا للسهرة
وحذاء من الساتان ، فى سهرة فندق بالاس ، وتغادرين
فراشك مخالفة بذلك أوامر الاطباء . أن كل ممنوع
مرغوب ، معهما كانت العواقب . »

وبعد أن اطرق قتيلا ، رفع رأسه مستطردا :

« أنت ستجدين فيه الليلة رجلا آخر . »

« انه سيكون الليلة فى فراشه يعانى من آثار الحمى . »

« لا أعتقد أن الامر سيصل به الى هذا الحد . ومع
ذلك أصبح رجلا عاجزا ، وهو لم يزل يعد فى مستقبل
العمر . أن الحالة النفسية بالنسبة للمريض من الاهمية
بمكان . »

وإذارت ليليان رأسها ناحيته فى حركة حادة ، وكأنه
قد صفعها بقوة . أو لأن هولان مريض فهو فى نظره من
العاجزين ؟ هذا الاحتمق الغر المأفون أو هذا هو رأيه
« أن الحمى البسيطة هنا قد تنقلب الى التهاب رئوى
حاد . غير اننى لا أعتقد أن هذا يعنىك فى كثير أو قليل . »

أن كل ما ستقوله حينئذ هو أن هولان كان سعيد الحظ بأن
قضى تحبه بعد أن أشبع رغبته فى الجلوس الى عجلة
قيادة سيارة مبياق . »

وبعد أن انتهت من قولها هذا ، شعرت بالانسف المنصدر
منها . وكانت لا تدري سببا لما استبد بها من غضب .

وعقب كبير فايت على ما سمعه منها باسمها :

« أن لك ذاكرة واعية ، فلتهدى من روعك . انه لن
يستطيع الانطلاق بها بالسرعة المعروفة عن سيارات
السيباق ، فى هذه المنحنيات المكسوة بالجليد . »

وطوقها ابتزاعه . ولأذت بالصمت ، جالسة قسى

سكون ، تستمع الى صدى صوت محرك السيارة الذى تردده جنبات الوادى . ثم التفتت اليه قائلة :

— هل كنت تفعل ذلك لو كنت فى مكانه ؟

— لست أدري . ان المرء لا يستطيع أن يحكم على الامور حكاما صحيحا ، على حين لم يتعرض لتجاربها . . . قد أسلك مسلكه مدفوعا بالرغبة فى التعلق بأهداب الحياة . وقد لا أسلك هذا المسلك ، مستكينا لحكم القدر ، متذرها بالصبر على الزمن . ان الانسان لا يدري من أمر نفسه شيئا ، عادم بعيدا عن التجربة نفسها .

وعاد صوت محرك السيارة ليقترب ثانية . فأردف كليرفايت قائلا :

« انه يعود أدراجه . »

— أجل . وهل ساءك منه أن يسرع بالعودة ؟

— كلا . ان كل ماكنت أريده هو أن أتيج له فرصة قيادة السيارة ، لأرفع من حالته المعنوية كما سبق أن قلت لك .

ورأت ليليان أنه من الخير لها ألا ترى هولمان عند عودته . فنهضت مسرعة وهى تقول :

— يجب ان أدخل قبل ان تكتشف رئيسة الممرضات غيبابى . متى تعتزم القيام بجولة بالسيارة ؟
— فى أى وقت تشائين .



كان اليوم يوم أحد ، وكانت أيام الاحاد بالمسحة فى نظر ليليان ، أشد وطأة من بقية الايام . وهبطت ليليان الدرج الى قاعة الطعام لتناول طعام العشاء . متحدية جميع الاوامر ، بعد أن تناولت كأسين

من الفودكا فى غرفتها . وحرصت على ارتداء أحسن ثيابها . ان العناية بالمبس كثيرا ما يكون لها أثرها فى حالة الانسان النفسية . غير أنها على الرغم من محاولتها هذه ، لم تستطع أن تتخلص مما كانت تشعر به من انقباض نفسى ، لم تدرك له سببا ، قبل أن تخطو الى قاعة الطعام .

وأخيرا أدركت السبب فيما اعتراها من انقباض . فقد كانت القاعة غاصة بالنزلاء ، والى مائدة فى الوسط ، كانت تجلس ايفاموزر ، وحولها ستة من الاصدقاء . لقد كانت هذه الامسية هى الاخيرة لها بالصحة ، بعد رحيلها فى اليوم التالى .

وأرادت ليليان أن تقفل راجعة لاول وهلة . ثم وقع نظرها على هولمان جالسا بمفرده الى مائدة قريبة من مائدة الامريكانيين الثلاثة ، الذين كانوا يترقبون وفاة مانويلا . ودعاها هولمان للجلوس . ثم بادرها قائلا :
— لقد قمت اليوم بقيادة سيارة كليرفايت . هل علمت بذلك ؟

— وهل علم بهذا سواي ؟

— من تعنين ؟

— رئيسة الممرضات ؟ أو مدير المسحة ؟

— كلا . وماذا يعنى علمهم بذلك فقد شعرت بهمالم أشعر به منذ عام مضى .
— أرى أن الجميع الليلة فى حالة معنوية مرتفعة . ماذا ترى فيما يدور من حولك ؟

وأومت برأسها فى اتجاه ايفاموزر ، التى كانت تجلس بين اصدقائها الحاسدين لها ، على الرغم مما يحيطونها به من رعاية وعطف . ومالت ليليان ، هولمان :

— كلا ، انه مشغول بزيارة غير متوقعة هذا المساء .
ومهما يكن من امر ، فلا يوجد ما يضطره الى الحضور
كأن مساء . ان المصحة ليست بالمكان المرغوب فيه الى هذا
الحد .

— ولماذا لم يرحل بعد ؟

— انه راحل فعلا ، بعد بضعة أيام . يوم الازبعاء أو
الخميس .

— من هذا الاسبوع ؟

— أجل . اعتقد انه سيرحل ويصطحب معه ضيفه .
ولم تعقب ليليان بشيء . وكانت لا تعرف ما اذا كان
هولان قد انضى اليها بهذه المعلومات عن عمد من عنده
وأثرت الا تسترسل في الاستفسار منه عما كانت ترغب
فيه من مزيد . وقالت له أخيرا :

— ألا يوجد معك قليل من الخمر ؟

— ولا قطرة . لقد أعطيت ما تبقى لى من الجين الى
شارل ناي ، بعد ظهر اليوم .

— ألم تبتع زجاجة من الفودكا صباح اليوم ؟

— أعطيتها لدولوريس بالز .

— لماذا ؟ هل قررت أن تصبح مريضا نمونجيا ؟

— بعض الشيء .

— ولكنك كنت صباح اليوم ايمد ما تكون عن ذلك .

— لقد صار صباح اليوم في عداد الماضي .

— ترى مع من سأخرج ليلا بعد رحيل كثير فايت ؟

— غيره كثيرون . ومهما يكن من امر ، فإن كثير فايت

لم يزل هنا . أين يحضر بوريس الليلة ؟

— كلا . وبوريس ليس بالرجل الذي يصلح للخروج

معه ليلا . أنت تعرف شدة قزمته . يبدو أنه لا معدى لى

الليلة عن العودة الى فراشى .

— ماذا بك ؟ هل من جديد ؟

— انه الدائرة الخبيثة من السلم والشجر . ترى

منى فتدشلتنا السماء منها ؟



استكملت الممرضة دورة مرورها الليلي . وكانت
ليليان مضطجة في فراشها تحاول القراءة عبثا . وبعد
قليل ألفت بالكتاب جانبا . وعادت مرة أخرى لتواجه
الليل بطوله . الليل يظلمه الحالك ، وسكونه الخيم
ومخاوفه المجسمة . ثم يطوف بها ذهنها المكبود ، الى أن
يستقر أخيرا على ذاتها . على هذا الكائن البشرى .
ليليان تذكر ، التي تعلم ان نصيبه من الدنيا هو أقصر
حياة .

وسمعت طرقا على الباب . وكان الطارق شارل ناي
الذى جاء يقول لها ماعسا :

« ان الميدان خال . . . هلم بنا الى عادية دولوريس
لمناسبة رحيل ايقاموزر . »

— وما هو الداعي ؟ ولماذا لا ترحل في سكون ؟

— اننا نحن الذين خلفنا من رحيلها مناسبة . اننا
نتلمس الاسباب .

— لقد حصلتم على بغيتكم في قاعة الطعام .

— لم تكن هذه المناسبة سوى ذر للرماد في عين رئيسة
الممرضات . هيا بنا . ولا تستسلمى لافكار الليل
السوداء .

— ليست بي رغبة تلاشتراك في حفل ما .

— هيا ، هيا . ان الوحدة قاتلة . ستجدين بالحفل

الكثير من النزلاء . ان العجز لم يقعد بعضهم عن الاشتراك في وداع الانسة موزر ، لا لجرد تكريمها . بل لانه وجدها فرصة سانحة للتسرية عن نفسه ، وابعاد ما ينوء به مما اثقل كاهله من قسوة القدر . فلتنسى ما يقض مضجعتك ، ولتقبل على الحياة برهة من الزمن .

وكانت دولوريس بالمر تقيم يطابق اسفل الطابق الذى به غرفة ليليان . وكانت تقيم بجناح مكون من غرفة نوم ، وغرفة جلوس ، وغرفة استحمام .

واستقبلتها دولوريس مرحبة ، وهى تقول :
« لدينا زجاجتان من الفودكالك . اين تريدان ان تتخذى لك مقعدا ؟ »

ولفقت ليليان فيما حولها . ولم يكن الحشد غير مالوف لديها . وكان الحضور اشبه بالاطفال الذين يختلسون لحظات لهوهم فى ساعة متأخرة من الليل . وكانت دولوريس بائر ترقدى ثوبا صينيا طويلا . وكان جمالها من هذا الجمال الحزين ، الذى ما كانت لتابه له او تدركه تيبها وزهوا . فقد كانت ممن يتركن انفسهن على سجيبتها ، لا يعنيتها من دنياها سوى ان تعيش فى نعيم من القرف والاستمتاع .

وكانت ايفاموزر تجلس بجوار النافذة ، تتطلع منها . وبدا عليها انها قلقة واجمة . وانبرت مازيا سافيتى تقول ليليان :

« انها حزينة . هل تصدقين هذا ؟ »

« وما هو السبب ؟ »

« سئبها عن السبب . انه ابعد ما يكون عن الخاطر . انها تقول ان هذه المسحة أصبحت بمثابة دارها . فانبرت ايفاموزر تقول منتحمة : « اجل ، انها دارى »

لقد كنت جد سعيدة هنا . لقد أصبح لى اصدقاء . اننى راحلة الى حيث لا اعرف احدا . »

وران الصمت على الجميع . واخيرا انبرى شارل ناي معقبا : « ايها . . يمكنك عدم مغادرة المسحة اذا ما اردت . ما احسب ان احدا سيعارضك فى هذا . ! »

« بل يوجد من سيعترض ! انه والدى ! ان اقامتى هنا تكلفه كثيرا . وهو يريد منى ان اجد لى عملا . اننى لم اعد اصلح لعمل ما . لقد انستنى اقامتى هنا ما كنت اعرفه . ثم من ذا الذى يلحق بخدمته فقاة كانت فزيلة المصحات ؟ »

واقبلت دولوريس بالمر تحمل الى ليليان كاسا من الفودكا ، قاتلة وهى ترمق ايفاموزر . بنظرة امتعاض :

« هذه المرأة ، لا تستطيع ان تسيطر على اعصابها !
« سأنصرف . فلا قبل لى بهذا المشهد . »

فاعترض شارل ناي على ما سمع منها قائلًا :

« كلا ، لا تنصرفى . اننا فى أمس الحاجة للشعوع المضئبة من طرازك وطراز دولوريس . انكما بمثابة النور المشع فى ظلام حياتنا . فلتسمعيئا شيئا من انشادك ! »

« اى نشيد ؟ نشيد الاطفال الذين لن يولدو ! »

« بل نشيد السحب التى ستنقشع الى غير رجعة ، او ان شئت ، نشيد المبعدين الى الجبال . اننا نريد ان نغال نصيبا من اللهو والعبث . هذا خير من البكاء . »

فعمقت دولوريس على هذا بقولها : « لقد اسرف شارل فى الشراب . فلنسمع الاسطوانات الامريكية الحديثة . »

وبهضت ليليان عن مقعدها . وما أن فعلت ذلك ، حتى فتح الباب لينفرج عن رئيسة المرضعات التى وقفت به تصيح فى غضب :

« هذا هو ما توقعته ! سجاثر ! وخمر ! وعيث ولهو
ومجون ! ان كلا منكم كان يجب أن يفظ في نومه الآن »
وانبرى أحد المرضى قائلا :

« بل كان من الواجب أن يقضى من هو علي شاكلتي
نحبه منذ أعوام . اننا نستعير الزمن تلك الأيام التي
نحياها . ان من كان هذا هو شأنه ، يضع لنفسه قواعد
خاصة » .

— هكذا ؟ هل لى أن أعرف شيئا عن ماهية هذه
القواعد ؟

— أن تعيش إيماننا بالعرض ، ونستمتع بكل دقيقة
فيها ، لأنها كل ما تبقى لنا من دنيانا . أما كيف يكون
هذا ، فانه متروك لرغبة كل حسبما يشتهي وبهوى .
— من واجبي أن أسالك الذهاب فورا الى فراشك . من
الذى ساعدك على الحضور الى هنا ؟

— حسن ادراكى وعمق تفكيرى .
وأعان الرجل بعضهم على الجلوس فى مقعده
المتحرك ، وخطت ليليان مطوعة بدفع مقعده وما أن
وسلت به الى باب الغرفة ، حتى سمعت رئيسة الممرضات
تؤنبها قائلة :

— انى ، فأنت من أتى به الى هنا !
وواصلت ليليان دفعها للمقعد المتحرك الى الردهة .
وتبعها شارل ناي والآخرين ، كأطفال كشف أمرهم .
وبعد نصف ساعة ، زارت ايڤاموزر ليليان بغرفتها .
وسألتها :

« هل حملوا فراشى الى غرفتك ؟
— كلا .

— ترى أين يمكن أن أجده ؟ لقد أفرغوا غرفتى مما

كان بها ، بما فى ذلك جميع ثيابى ، ترى أين توجد
حاجياتى ؟

وكان اخفاء حاجيات « المسرحين » من المصحة دعابة
يلجأ اليها النزلاء ، فى آخر ليلة له بالمصحة .
وأردت ايڤاموزر قائلة : « انها لدعابة سخيفة ! »
وشعرت ليليان بأنها يجب أن تفعل شيئا ، فقالت لها :

— توجهى الى البهو ، وأختبئى بجوار باب المصعد الى
أن تشاهدى شارل ناي خارجا منه . ولتذهبى فورا الى
غرفته . واتصلى بى تليفونيا من هناك . وقولى أنك
متعبتين بشيابه ما لم ترد لك حاجياتك . هل فهمت ؟

— أجل . ولكن .

— اننى واثقة من أن شارل ناي يعرف مكانها .
— واتصلت ليليان تليفونيا بشارل ناي ، وأومأت
لايڤاموزر أن تنصرف . ثم دعته لزيارتها بغرفتها .
وأقبل شارل بعد وضع دقائق . واستقرت منه ليليان
عما فعلته بهم رئيسة الممرضات . فأجابها :

— لقد حلت الازمة حلا موفقا بفضل كياسة دولوريس .
— انها خير من يقولى مثل هذه الأمور . وقد انصرف
الرئيسة راضية مقتنعة .
ونق جرس التليفون . وكان صوت ايڤاموزر مرتفعا
بحيث سمع شارل كل كلمة صدرت عنها . ورددت ليليان
على مسامعه ما هددت به وتوعدت ايڤاموزر .
ومدت له يدها بسماعة التليفون ، سائلة اياه أن يهدىء
من ثورة ايڤا ، واتجهت الى النافذة تطل منها .

وتطلعت بعينها الى فندق بالاس ، الذى كانت توافذه لم
تزل مضاعة . ان هذا الضوء لن يعود ينبعث من تلك
النوافذ بعد أسبوعين أو ثلاثة على الاكثر . إذ سيعود

السياح من حيث اتوا، ويخلفون وراءهم الفراغ والملل .
وسمعت صوت إعادة سماعة التليفون الى مكانها ،
وشارل يقول معقبا : « هذه المعتوهة ! »
وانصرف لا يلوى على شيء .

اسدلت ليليان ستائر غرفتها ، وراحت تبحث عن
المقار المذوم . تستعين به على مغالبة ما تخشاه من أرق
الليل الطويل . وخيل اليها أنها سمعت صوت سيارة كبير
غابت . أن في وسعه ان يتغذها من عذاب هذا الليل
الطويل . غير انها لا تستطيع أن تتصل به تليفونيا . لقد
قال هومان ان لديه زائرا . من عساه ان يكون ؟ انراه
أحدى نساء باريس أو ميلانو أو مونت كارلو ! الى
الجحيم بكلر قايت ان هي الأ بضعة أيام يرحل بعدها .
ليس أمامها سوى الرضوخ لما قدر عليها ، وليس عليها إلا
أن تسلم بالأمر الواقع . أو ليس هذا ما نصحتها به
بوريس ! غير أن هذا الخضوع والاستسلام يعنى لديها
الضياع . ان الأيام تمضي والأعوام تسرع . ثم
استرسلت في البكاء . . الذي لا يغير من الأمر شيئا
وانهبرت عبراتها آسى واشفاقا .



الفصل الخامس

كان الشيخ مستلقيا في فراشه ، وكأنه قطعة من
أعطيته . وكان وجهه ناعلا . ذابلا ، وعيناه غائرتين .
كان يدعى ريختر . في الثمانين من عمره ، قضى
عشرين عاما منها بالصحة . شغل في أول قدومه جنحا
من غرفتين ، ثم انتقل الى غرفة بالطابق الاول ، وأخيرا ،
وبعد أن اضطرته الى ذلك حالته المالية ، أقام بغرفته
الضيقة التي لا تكاد ان تتسع لفراشه والمنصودة المسفرة
بجواره . وقد تمكن الرجل بقوة عزمته من مغالبة الموت
سوال عشرين عاما .

وكانت ليليان جالسة بجوار فراشه . وأشار بأصبعه
الى رقعة الشطرنج فوق المائدة قائلا :

— تأملى هذه اعجبي لهذه الحركة . كان على الرجل
ان يدرك أن تحريك الفارس سيمكثني منه . ترى ماذا
دعاه ؟ لقد لغت من ربهه خلاف ما أرى منه الآن . لقد
كان من خبرة لاعبي الشطرنج . هل كنت تقيمين هنا أبان
الحرب ؟
— كلا .

- لقد كان حضوره ابان الحرب ، في عام ١٩٤٤ . على ما اذكر ، وكان قدومه مصدر سرور لي . اذ كنت امارس هوايتي هذه عن طريق المراسلة بنادى الشطرنج في زيورخ ، فلم يكن ثمة من يمارس هذه الهواية من بين نزلاء المصححة .

غير ان سعادة ريبخر بقدم رينيه لم نتم . فقد كان رينيه فرنسيا اطلق سراحه من معسكر اعتقال الماني . وما ان علم بان ريبخر الماني الجنسية ، حتى رفض ان يواصل مبارياته معه . ان العداء القوي المتأصل في النفوس ، لا يتوقف بدخول المصححات .

ويمكن السأم من نفس كل منهما . وتبع كل في فراشه مصرا على موقفه من الآخر . وأخيرا وجد أحد الزوج من نزلاء المصححة حلا لهذه المشكلة .

وأصل بكل من ريبخور و رينيه ، يقترح عليهما ممارسة هوايتهما عن طريق التليفون ، على أن يكون هو الوسيط بينهما .

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها يقليل ، قضى الزنجي نحبه . واضطرت الظروف المالية كلاً من ريبخر و رينيه الى الإقامة كل في غرفة لا يوجد بها تليفون . وكان رينيه بالطابق الثالث ، و ريبخر بالطابق الثاني واضطلت رئيسة الممرضات بمسئولية الوساطة بين الخصمين ، اللذين لم يعرفا شيئاً عن وفاة الزنجي . وسار كل شيء على ما يرام ، الى أن استطاع رينيه أن يغادر فراشه . وكان أول ما فعله ، محاولته زيارة صديقه الزنجي . ومن هنا ، اتضح له ما كان خافياً .

ولكنه كان قد عرف ، في نفس الوقت ، ما نزل بأسرة ريبخر في ألمانيا من ويلات ، نتيجة للغارات الجوية .

وخفف هذا من غلواء مشاعره العدائية ، واستأنف مبارياته مع ريبخر . غير أن حالة رينيه الصحية اضطرته الى ملازمة الفراش ثانية ، مما استتبع قيام بعض المرضى بدور الوسيط بينهما . وكانت ليليان من بين هؤلاء . ثم كان ان لفظ رينيه انغلسه الاخيرة منذ ثلاثة أسابيع . واجتمعت كلمة الحيطين بريبخر على عدم احاطته علماً بوفاة الفرنسي .

وكان لرئيسة الممرضات المام بهذه اللعبة ، ورات أن تقوم مقام رينيه في الاشارة على الوسطاء بما ينقل من قطع الشطرنج . غير أن ريبخر ، الذي لم يكن يعلم بوفاة خصمه ، كان أسفا لما تبينه عن تخلفه فيما كان يحذقه من قبل .



وسأل الرجل ليليان ، التي اتته تحمل الحركة الاخيرة من رئيسة الممرضات : ، الا ترغيبين في تعلم هواية الشطرنج ؟ في وسعي أن أعملك ايها في أقصر وقت . وهزت ليليان رأسها نفياً . ولحنت الاسى في عيني الرجل الزرقاوين . وعاد يلح عليها الى أن قالت :

- اننى لا أهوى الشطرنج ، ولم أوت من الصبر ما يعيننى على ممارسته .

- ان الشطرنج هو مفتاح الصبر . انه ملائك حينما لا تستطيعين الى النوم سبيلاً . حتى القراءة ، لن تعينك على مغالبة أرق الليل الطويل . لقد لجأت الى شتى الوسائل . ولم أجد سوى وسيلتين . الاولى : أن يشاركك البعض وحدتك ، ولذلك تزوجت ، غير أن زوجتى توفيت منذ بضعة سنين .

وسألته : - والثانية ؟

- حل معضلات الشطرنج . . ان الشطرنج يبعث الراحة في الذهن المكبوت ، والاستغراق فيه يبعد عنه شتى الخواطر - أليس هذا هو كل ما نبغي ؟
- بلى ، انه كل ما نبغي في مكان مثل هذا . كم قضيت هنا من عمرك ؟

- عشرين عاما . انها عبر بأسره .

- أجل - حياة رتيبة تكرر الأيام فيها نفسها وتتشابه ، بحيث تبدو في نهاية كل عام ، وكأنها يوم واحد ان مثل هذه الفترات من حياة الانسان ، من الظلم ان تعد من عمره . انها قطعة منفصلة تقطع من حياته ، ويلقى بها بعيدا ، أو هذا على الأقل ما يجب أن يكون ، ولذلك قررت أن اغادر هذه المصحة .

- وهل تم لك الشفاء من مرضك ؟

- وأبركت أنها اندفعت فيما صرحت به . فاستدركت قائلة :

« انني راحلة لفترة قصيرة فقط أعود بعدها لمواصلة العلاج . هل تريد سئى أن أحمل لريتيه حركة القطعة التالية ؟ »

- لا جدوى من ذلك . قولى له أن يبدأ من جديد .
- فليكن .



واستبد القلق بليليان طوال اليوم ، وبعد الظهر . وأغرت إحدى المرضيات أن تطلعها على صور الأشعة الأخيرة . واستجابت هذه لها ، معتقدة أن المريضة لن تستطيع أن تتبين شيئا من هذه الصور . غير أن ليليان سألتها :

- من يمكن أن أستيقظها معى قليلا

- هذا مخالف للأوامر ، ومجرد اطلاعك عليها ضد التعليمات .

- ولكن الطبيب بطلعنى عليها دائما ، ويقوم بشرح ما فيها . ولقد نسى أن يفعل ذلك في هذه المرة .

- ولم تجد المعرضة بدا من الاستجابة للأحاح ليليان . فوضعت الصور فوق أحد المقاعد قائلة :

- سأعود بعد بضع دقائق لاستعادتها . انى ذاهبة الى الغرفة رقم ٢٦ . لقد رحلت شاغلتها .

- رحلت

- أجل ، منذ ساعة .

- من عساها أن تكون

- فتاة من بوجوتا ، بأمريكا الجنوبية .

- مانويليا

- أجل . لقد قضت في هدوء . . كانت وغاساتها متوقعة .

- ولماذا تقولين رحلت ؟ قيم هذا التلاعب بالألفاظ ؟

انها لم ترحل ! لقد ماتت ، وانتهى أمرها ! رحلت !
بالتورية وذات التخرج في هذه المصحة .

- أجل يا سيدى أجل . . ماتت .

- يمكنك أن تتصرفى . . وحينما تعودين ستجدين صور الأشعة فى انتظارك

- حسنا .



وأسرعت ليليان الى النافذة بصور الأشعة تمنع النظر فيها ، ولكنها لم تستطع أن تثبين منها شيئا . وكان مدير

أستشفى يؤثر على بعض مواضع من الصور السابقة بالمداد الأحمر غير أنه لم يفعل شيئًا من هذا القبيل في هذه الصور .

ان هذه الصور تعنى لديها الحياة أو الموت - انها تعنى الصحة أو المرض .

وراحت تنفوس فيها محاولة ان تستشف منها شيئًا . وتبينت ان ثمة بقعا أكثر سوادا مما يحيط بها ، وانها أكبر اتساعا مما كانت عليه في صور الأشعة السابقة .

وعلمت لنضع الصور فوق المنضدة ، وانجبت إلى المرأة تنفوس في وجهها . هذا الوجه الذي يبدو وكأنه غريب عنها . . انها لتكاد أن تنكره بنحوه وهالاته السوداء .

وسمعت صوت المرضة التي أقبلت قائلة : - ماذا - كما ترى ! أقامل وجهي في المرأة . لقد فقدت من وزني ثلاثة أرباط في الشهرين الأخيرين .

- أنك جد قلقة . ويجب أن تتناولى من الطعام كميات أكثر . يجب ان تهدي بالآ ومؤمنى بقرب شفاؤك .

فاستدارت ليليان تواجهها ثائرة ، « لماذا تصرون هنا على معاملتنا معاملة الأطفال ؟ أو تعتقدون أننا نصدق كل ما تقولون اليك هذه الصور . . تأملها جيدا ! وأنك لتعرفين خيرا منى ماذا تعنى . .

- وهل أمطعت أن تتبينى منها شيئًا

- أجل . . لقد أدركت منها كل شيء . ان حالتى لم تعد سرا مستغلقا . لقد صارحنى الطبيب بأن حالتى الصحية لا تتحسن وانها تندهور . . لماذا تحاولون التمويه على المرضى

- لان الكثيرين منهم لا يحتملون مواجهه الحقائق . - ولكننى عنى يشعرون بالقدرة على ذلك .

- هذا واضح ، بعد اطلاعك على السر واكتشافك لما تضمنته صور الأشعة . هونى عليك واعقدى العزم على اتباع أوامر الأضباء وأرشاداتهم .

- سأعمل بعشورتك من الآن فصاعدا .

- وبهذا تستعيدين صحتك وما فقدت من وزنك .

وكانت ليليان تود فى ترارة نفسها ، أن لو سمعت من المرضة ما يكذب حدسها .

وسمعت ضرقا على الباب ، أعقبه دخول هولمان قائلا :

- سيسافر كلير فايت غدا ، والليلية من النيبالى القمرية . ماذا ترى فى قضاء الليلة معا ؟

- لست أدرى .

- ان الليلة هى الاخيرة له بيننا .

- متى سيرحل ؟

- بعد ظهر الغد .

- وهل سيسافر بمفرده ؟

- أجل . هل توافقين على اقتراحى ؟

ولادت ليليان بالصمت . ان رأسها يضطرب بالكثير من الفكر والخواطر . وسمعتة يستعرد قائلا :

- انها ليلة وداع يجب أن نمضيها معا . . ان المناسبات لدينا قليلة .

وانصرف هولمان وتركها لخواطرها .

هذا الغد - لماذا يفترق عن غيره ؟ فى مساء هذا الغد سيكون كلير فايت قد رحلت ، وتمود الحياة المملة الى سابق عهدها . كان بيت الانزلاق مفتوحا اثناء الشتاء ، وكانت فيه فرقة موسيقية أعدها قنديق بالاس . وأقبل الرواد فى ثياب السهرة ، وكانت نورلوريس ترقدى ثوبا

اسبابى الطراز تتدلى مته شرائط الدانتلا ، اما ليليان دانكرك فكانت تلبس جاكيتها المصنوعة من الفراء . وكانت ليليان يادية الانفعال ، تصطحب الاثارة فى اعماقها . وعند قمة الثل ثودر العاصفة . ومضت ليليان تتطلع الى القمر الذى يطل بوجهه من بين السحاب ، ثم يعود ليختفى ، وسألها كلير فايث عما تفضله من مشروب فى هذه الليلة . فأجابته بانها تفضل كاسا من النبيذ . وبعد ان أحضر الساقى الكؤوس ، بادرت به سؤالها :

— متى ستسافر غدا ؟

— قبل حلول الظلام .

— الى أين ؟

— الى باريس ؟ هل انت راحلة معى ؟

— أجل .

فضحك كلير فايث . ان حسنها تمزح وعقب على ذلك قائلا :

— حسنا . غير أنك يجب الا تكثرى من حقائبك . ان سيارتى لا تتسع للكثير منها .

— لن أحمل معى سوى حقيبة واحدة . اما الباقي فيمكن إرساله الى عنوانى . أين ستوقف بعد رحلتنا ؟

— سأحرص على الخروج من منطقة الجليد التى لا تحببها ، ثم نواصل طريقنا الى تيشينو . والى بحيرة ماجيور ، حيث نجد الجوربيعا .

— وبعد ؟

— الى جنيف .

— ومن ثم ؟

— الى باريس .

— الا يمكن أن ننجح رأسا الى باريس ؟

— حينئذ ، يكون علينا أن نبدأ سفرنا الليلة . لان

المسافة أطول من أن تقطع فى يوم واحد .

— وهل يمكنك أن تقطع المسافة من بحيرة ماجيور الى باريس فى يوم واحد ؟

والى هذه المرحلة من الحديث ، لم يكن كلير فايث ليحتمل الامر محمل الجد . ولكن هذه الاسئلة تعنى انها

جادة فيما تقول فجعل يتفرس فيها مستطلعا ، ثم قال :

— ان قيادة يوم بطوله ، يمكن أن نبلغ بها مقصدنا . ولكن نيم العجنة ؟ الا تريدان أن تمتعى ناظريك

بحقول اللرجس المحيطة بجنيف ؟ انها مما يحرس الجميع على مشاهدتها .

— يمكننى القاء نظرة عليها عبر الطريق .

وأقبل هولمان يهمن قائلا :

— رياه ! انه مدير المصحة .

— أين هو ؟

— عند الباب . من كان يتوقع هذا ؟ مارا نحن فاعلون ؟

— لاشئ .

— الا يستحسن ان نتسلل خارجا ؟

— كلا .

وكان بين الموجودين البعض من نزلاء المصحة . وساد بينهم جميعا الاضطراب . واستبدت بهم الحيرة . وجلس

من جلس منهم ، واستبدل آخرون مقاعدهم بمقاعد أكثر أماتا . وتأمل كلير فايث ليليان بمتسا ، وكأنه يستفسر

منها عما اذا كانت تريد أن تحذو حذو غيرها وتستبدل مقعدها بأخر أحسن وضعا حتى يكون متواريا ولكنها

هزت رأسها نفيا . وتطلعت ليليان بعينها صوب مدير

المصحة تتأمل وجهه الشاحب وعينيها الباهتتين وهو يجول
بهما بين الموائد محاولا أن يتفقد ينظراته خلال زحام
القاعة .

وتنهضوا جميعا مغادرين القاعة ، لمشاهدة هواة
الانزلاق على الجليد فى هذه الليلة القمرية الجميلة .
ومشت ليليان الى جانب كلير فايت ، بخطوات متثقلة ،
منجاهلة وجود مدير المصحة . ووقفت من مكانها تشاهد
هواة الانزلاق ، وقد حملوا مشاعلهم فى أيديهم .

وسالت ليليان كلير فايت ، « متى سافر حل غدا ؟ »

— متى ثنثائين فى أية ساعة تفضلين ؟ قبل حلول
الظلام أو اذا أردت بعده . الامر متروك لك .

— أن الامر عندي سيان . وسأكون على أتم استعداد
فى الساعة التى تحددها .

— حوالى الساعة الرابعة مثلا .

— فليكن . ستجدنى فى انتظارك . ولا يشغلنك أمرى .
فما عليك الا أن تبلغ بنى باريس ، ثم تتركنى أمضى .

— تبخين حينها ثنثت ، على غير هدى .

— أجل . هو ما ذكرت .

— لك ما ثنثائين .

وشعرت بانها تهتز من قمة رأسها الى أخمص
قدميها . وراحت تمنع النظر فى وجه كلير فايت . انه لا
ينقل عليها بأسئلته . ولست مضطرة الى تبرير شيء من
تصرفاتي . انه لا يبانى بما عقدت العزم على القيام به ،
ويأخذ كلامى على علاته . انه لا يثير زوبعة حول
مرضى ، ولا يجعل عنه مشكلة مستعصية الحل . وشعرت
لاول مرة منذ مرضها ، بانها تخلصت من عبء ثقيل كانت
تنوء به . وقد بعث هذا الخاطر فى نفسها الشعور

بالسعادة بصورة لم تالفها من قبل ، وكانها اجتازت حدود
منطقة كانت محرمة عليها . وأنها لترى الحياة ممتدة
أمامها ، بكل ما فيها من بهاء ورونق . وأنها لتتقف الان
عند نقطة البداية ، وقد حملت مشعل الوجود الحق ، فى
طريقها الى ما يضطرب فيه الاصحاء من حياة عادية . أن
أقصى ما يصبو اليه الانسان ، هو أن يتخير ميته ، حتى
لا يدهمه الموت كما يدهم قارا ويباغته .

— بوريس ، استمع الى . . قلت لك اننى جادة هذه المرة . اننى راحلة الى غير رجعة .
— غدا ؟

— كلا اليوم . وفى رفقة كبيرهايت .
— فى رفقة كبيرهايت ؟

— أجل . . سأرحل معه فقط ، لقد انتهزت فرصة رخيله وسألته ان يصحبني معه الى حيث يمضى كل منا فى سبيله . هذا ما أريد ان تفهمه . اننى راحلة لجرد رغبتي فى ذلك ، لا لسبب آخر . لقد ضقت ذرعا بمقامي هنا . ضقت ذرعا بكل شيء .
— لن أسكنك من الرحيل .

— بل ستدعنى أفعل ما أريد . لقد حاولت ان أكتب لك موضحة الامر ، ولكننى عجزت عن التمييز عما تعتمل به نفسى .

ان هذه الحقايب المعدة للرحيل ، بمثابة السهام القاتلة المصوبة الى قلبه . ان هذه الثياب وتلك الاحذية لم تمد مصدر سحر وجاذبية ، كما كان يراها من قبل . ان هى الآن ، بعد ان أعدت للرحيل ، الا مصدر ألم لغياب من يحب ورحيلها المفاجيء عنه . وعاد يردد : لن ترحلى ! .

— كنت أخشى هذا الموقف . ولذلك كنت أزمع الرحيل دون ان أتكلم بك بعزمي . أرجو الا تزيد الموقف صعوبة ، وان تحببني مزاراة الشعور به :

هذا هو ما يصدر عنهن دائما . وهذا هو ما يريدنه فى مثل هذه المواقف ومن الحالات مثل هذه المواقف ، المتسببات فى وجودها . تجنبها حرارة الشعور بالموقف ، وهى التى قررت ان تمزق قلبى بقرار رحيلها . ألم يدرك

الفصل السادس

وجدها فى لوكوف ، فى صباح اليوم التالي ، منهمكة فى اعداد حقايبها .

« انك تعدين حقايبك ؟ وفى ساعة مبكرة ؟ »
— أجل . كما ترى .

— وماذا لانى لاشفق عليك من هذا العنف .
وزنك لانه كان قد رأها تفعل هذا عن قبل غير مرة ، ثم تعود لتعدل عن رأيها ، بعد ان تهدأ نفسا .
وسمعها تقول له فى لهجة قاطعة :

— بوريس ، استمع الى . . قلت لك اننى جادة هذه المرة .
وراح يتابع ما قودعه حقايبها من حاجيات . فرددت قولها :

« اننى راحلة فعلا . أراك لاتصدقنى ! »

فتوفا برأسه قائلا : « أجل . أجل . انك راحلة غدا . وبعد الغد ستعددين حاجياتك الى مكانها ، وأقوم بمساعدتك فى افراغ حقايبك . فبم كل هذا العناء ؟ والى متى عدم الاستقرار ؟ »

بخلدها ماذا سيكون من شأنى وهى تسألنى ان ارفق بها ؟

يا لائىبة المرأة :

— انك راحلة مع كبير فايت ؟

— ساستقل معه سيارته . هذا هو كل ما فى الامر .

وستفترق فى باريس ، حيث أقيم مع عم لى ، وهذا العم هو الوصى على ما آل لى من مال . أما كبير فايت ، فسبواصل طريقه الى حيث يريد . أرجوك أن تفهمنى جيدا .

— وماذا تريدين منى أن أفهم ؟ حسبى من كل هذا

رحيبك . وماذا يعنينى من الامر بعد ذلك ؟

— هل تريد منى أن أقيم معك ؟

— أريد منك أن تقيمى هنا . . . أن الوضع يختلف .

وردد فى ذهنه : ، لقد كذبت فيما قلت . بديهى اننى لا

أريد منها سوى أن تقيم معى . أنها كل حياتى ، وكل ما

تبقى لى منها . أن كوكب الأرض قد تضاءل وأصبح فى

نظري هذه القرية النائية بين مقام الجبال العالية . . . تلك

هى دنيائى وهى كل ما أبغيه من دنياى هذه .

وأردف قائلاً : ، لست أريد منك أن تلقى بنفسك الى

التهلكة ، وتبددى حياتك كما يبدد السفينة أمواله .

— أن هى الا الغاظ ترددها . بوريس ! ما الذى يؤثره

السجين . . . ان يعيش حراً لعام يفارق الحياة بعده أو

قضاء عدة أعوام فى السجن ، فى حياة راكدة كالماء

الاسن . ترى ماذا يفضل ؟

— ولكنك لست فى سجن . انك تصورين لنفسك

الحياة خارج هذه القرية ، بصورة مجسمة تخدعنين

نفسك بها .

— انى ادرك ما تعنيه بقولك هذا . وأصارك يأنى لا

أعرف شيئاً عن هذه الحياة . اننى لم أعرف من الحياة

سوى ما بسرته لى فترة الحرب . لم أعرف سوى اليأس

والخيانة ، وما لا برضى . غير اننى واثقة من ان عارايت

ليس هو كل ما فى الحياة . أن ثمة جانباً آخر لهذه

الحياة الطويلة الحرة . بوريس دعنا من هذا الحديث . .

اننى لم اعد أدرى من أمر نفسى شيئاً . أرجوك ألا تثير

منى النواجع والالام .

فليرحل كبير فايت بمفرده . وبعد بضعة أيام ستدركين

مدى ما كنت مقبنة على ارتكابه من خطأ .

— بوريس ! لا شأن لكبير فايت برحلى . لبيست

المسألة مسأله رحيل رجل آخر .

ولم يعقب بشيء . لقد ادرك انه تنكب طريق الصواب

فى أسلوب حديثه معها . أن شدة تعلق الرجل بالمرأة

يفقده اباعاً . أن امرأة لا تحب من يعارضها ولا يدهنها

حتى ولو ارتكبت خطأ .

وقال لها أخيراً : — اذا لم يكن الامر كذلك فلماذا لم

تسألينى أن أذهب معك ؟

— لنت ؟

وردد فى خاطره لقد عدت لاختطء نائية ! لماذا

أفرض نفسى عليها ؟ أنها تريد أن تهرب من المرض —

فيذا يضطرها الى أن تصطحب مريضاً معها ؟ اننى

آخر من ترغب فى السفر معه .

وسمعها تستطرد قائلة : — اننى لا أريد أن أحمل معى

ما يذكرنى بهذا المكان . اننى أحبك ولكننى لا أريد ان . . .

— تريدين أن تنسى كل شيء ؟

— لست أدرى . أتوسل اليك الا تضاعف من عذابى .

ولاد بالصنعت * فقد كان يدرك أنه من الخير له ألا يعقب بشيء * غير أنه كان يرى أنه من الأهمية بمكان أن يوضح لها أنه لم يتبق الكثير من حياة كل منهما * وأن هذه الأيام التي تبكى منها * ستبكي عليها فيما بعد * ولكنه كان يدرك في الوقت نفسه * أن كل ما يقوله سيؤول تاييلا عاطفيا أبعد ما يكون عن أن ينفذ إلى قلبها بأهيك بعقلها *

لقد فات الأوان * وأسدل هذا الحاجز الزجاجي بينهما * في لحظة لم تكن في الحسبان بحيث أصبح كل منهما يرى الآخر ولا يفهمه * وأن تبادل حديثا * لم ينفذ من أذنها إلى العقل * وكان كلا منهما ينطق بلغة أجنبية عن الآخر * لم يعد ثمة مجال لإصلاح ما فسد * لقد ازدادت الهوة بينهما عمقا واتساعا * وأصبح من المتعذر اجتيازها *

— وداعا يا ليليان *

— أرجو أن تغفر لي *

— لا يوجد في الحب ما يغتفر *



لم يكن لديها متسع من الوقت للتفكير * وأقبلت إحدى الممرضات تحمل إليها بقدم مدير الصحة لزيارتها * وأقبل المدير تفوح منه رائحة مواد التطهير قائلا في لهجة جافة :

« لقد رأيتك الليلة الماضية بالفندق » *

وأومات ليليان برأسها إيجابا *

— تعرفين أنه من المفروض ألا تغادري غرفتك ليلا *

— أجل * أعرف ذلك *

— يبدو لي أنك لا تبالين بأوامر الأطباء * وأجندنى مرغما على أن أطلب منك مغادرة المصحى * لعلك أن تجدى مكانا يتفق مع رغباتك * ولقد تحدثت في ذلك مع رئيسة الممرضات التي علمت منها أنها سبق أن أنفرتك وحذرتك من سوء مقبة تصرفاتك * أن في مسلكك المستهتر ما يسىء إلى سمعة المصحى * ونحن لا يمكن أن نتسامح مع من * * ففاضته ليليان قائلة * « اننى أدرك ما تعنى * ولقد عقدت العزم على مغادرة المصحى بعد ظهر اليوم » *

وتأملها مدير المصحى دهشا * وأخيرا قال لها :

— لا حاجة بك للعجفة * لديك متسع من الوقت * إلى أن توفقى إلى مكان مناسب * أم لعلك وجدت هذا المكان فعلا *

— كلا *

— إذن * فقيم هذا العناد القاتل * وهذا الاصرار على

عدم مراعاة صحتك ؟

— إن صحفى لم تتحسن على الرغم من اتباعى كل

الإرشادات *

— ولكن هذا لا يبرر توقعك عن مواصلة العلاج * على

العكس * أن في ذلك ما يحدو بك إلى الالتزام بتلك الأوامر

والإرشادات * هذا هو العيب المدمر والاستهتار القاتل *

فلا أقدمت عما أنت سائرة فيه من غير *

— أنه من الخير لي أن أذهب *

ولم يكن حديث مدير المصحى معها ليزيدها رهبة * لقد

وضع النقاط الناقصة فوق الكلمات فزادها حياء

وأصبحت تشعر بما يشعر به الجندي الذي يتلقى الأامر

بالتقدم بعد طول الانتظار * ولا يبقى أمامه سوى أن

يصدح بما أمر به *

وحاول مدير المصحة ، يشتى الوسائل ، أن يثنيها عن عزيمتها ، فما كان منها إلا أن أجابته قائلة :

— اننى لم أعد المريضة التى استقر قرارها على مواصلة العلاج ، لم أعد أرى فى نفسى سوى المرأة التى يحق لها أن تفعل ما تشاء ، وقد طرحت جانبا فكرة مرضها .

ورأت الدماء تتصاعد الى وجه مدير المصحة ، فتركها وانصرف يائسا .



حينما فرغت من اعداد حقايقها ، حدثت نفسها قائلة :
— ما أن يحل مساء اليوم حتى أكون بعيدة عن هذه الجبال .

ولاول مرة منذ عدة أعوام ، شعرت بقرب تحقيق الأمل ، هذا الأمل الذى كان كالسراب الخادع ، يتعد عنها كلما اقتربت منه . أنها وثيقة هذه المرة من أنها تضع قدمها على أول الطريق ، أنها لتقف فى النقطة الفاصلة بين ماضٍ من الوحدة ولت أيامه ومضت ، وبين مستقبل مجهول لا تعرف مداه .

وكانت نخشى أن يعود غولكوف ثانية ، وكانت تتوق فى الوقت نفسه الى رؤيته ثانية ، وكانت عينها مفرورتين بالدموع ، وهى تحكم اغلاق حقايقها ، وتريثت الى أن هدأت نفسها ، ثم قامت يوداع اصدقائها

من المرضى ، الذين كانوا يصلون فى وجهها فى دهشة وذهول ، ثم عادت الى غرفتها تنتظر ، وبعد قليل سمعت نباح كلب بالباب ، ونهضت تفتح باب غرفتها لتجد أمامها كلب فولكرف الكبير ، وكان الكلب يحبها كثيرا ما يصعد

لزيارتها ، واعتقدت أن بوريس هو الذى بعث به اليها ، وأنه سيلحق به توا ، ولكنه لم يحضر ، وبعد قليل ، سمعت صوت محرك سيارة كبير فايت ، فريثت على رأسه مودعة ، وأسرعت تهبط الدرج متسلسلة ، وكانت ترحو أن تحتاز البهو دون أن يراها أحد ولكنها وجدت رئيسة الممرضات فى انتظارها .

— لقد سألنى الرئيس أن أبلغك بأنه فى وسعك أن تبقى ، بل وأن اقامتك بالمصحة ضرورية لك .
— شكرا .

وواصلت ليليان سيرها ، فقالت لها رئيسة الممرضات :

— آسفة دنكر ، انك لا تدركين حقيقة وضعك ، يجب ألا تغادري منطقة الجبال الان ، انك أن فعلت هذا ، فلن تقدر لك الحياة الى نهاية العام .

— وهذا هو انسيب فى رحيلى .
وعند الباب الامامى للمصحة ، وجدت هولمان فى انتظارها ، فقالت له :

— الى اللقاء ، يا هولمان ؛
— الى اللقاء . . . سألحق بك قريبا .
وقال لها كبير فايت ، عندما حيت منشرة الصدر ،
— ساحرص على قيادة السيارة ببطء . . . أحسنت
سما بتدشرك بهذا المعطف .

— أجل وملاسى الداخلية من السوف أيضا . . . علم بنا .

— الم تنمى شيئا ؟
— كلا .

لقد كانت تتعجل الرحيل ، وكانت تريد أن تطلعن

على أنها أصبحت بعيدة عن المصححة، وعن الجبال، وعن المنطقة بأسرها . وتحركت بهما السيارة ووقف هولمان يلوح لهما مودعا . ولم تر أثرا لبوريس ، سوى هذا الكلب الذي أخذ يعدو خلف السيارة بأقصى ما أوتى من سرعة ، وشاهدت صفا من نزلاء المستشفى وقد نهضوا عن مقاعدهم بالشرفات يتطلعون إلى السيارة ، ويتابعونها بانظارهم .

وعلق كليبر فايت على هذا بقوله : « كالمصطفين حول حلبة مصارعة الثيران » .

— ترى من عسانا أن نكون ؟ الثور أم المصارع ؟

— الثور دائما ، وإن كنا نعتقد أننا المصارعون .

الفصل السابع

وانسابت السيارة على مهل ، فوق الطريق الملتوي بين الثلوج ، وكان بصرهما لا يقع الا على جدارين من الجليد يعلوهما شريط أزرق من السماء .

وأخيرا لاحت لهما عن بعد ، مبانى قرية صغيرة . وتوقف كليبر فايت بسيارته أمام محطة البنزين القائمة عند مدخلها . وسأل القائم على الخدمة بالمحطة عما عليه الطريق بعد القرية . وما أن سمع اجابته حتى التفت كليبر فايت إلى الصبي ، وبعد أن تأمله مليا قال له : « أنتى أعرفت ! تدعى هوبرت أو هيلمت أو ... » .

— هيوبرت .

— أجل . هيوبرت جورنج .

وابتسم الصبي راضيا . وقام بقادية ما هو مطلوب منه في نشاطه انشباب ، بينما راح يتجاذب اطراف الحديث في شئى الامور مع كليبر فايت .

ثم انطلق كليبر فايت بسيارته ، إلى أن خلف وراءه الجليد ، بعد مسيرة ساعة . وكان الماء يتساقط قطرات من أسطح المنازل ، ومن جنود الاشجار ، وينحدر جداول

من جنبات المرتفعات . وكانت النوافذ تعكس بزجاجها ،
أشعة الشمس الغاربة . وكانت طرقات القرى تزدهم
بالأطفال ، الذين يلعبون ويمسحون .
وسألها كثير فابت : — هل تحبين ان نتوقف في مكان
ما ؟

— ليس بعد .

— هل تخشين أن يعود الجليد ليطوفنا

— اننى أكره أن أراء ثانية .

— لن يكون هذا قبل حلول الشتاء القادم .

الشتاء القادم — لن يكون هذا أبداً !

وسألها كثير فابت : — الأي حسن بنا أن نتوقف عند أحد
المضامع لتناول قهح من القهوة بالكوتنيك ؟ أن الطريق
أماننا طويل .

— فليكن . متى سنصل الى بحيرة ماجيور ؟

— بعد بضع ساعات .

وأوقف كثير فابت محرك السيارة أمام أحد المطاعم .
واستقصر من ليليان عما اذا كانت ترغب في تناول شيء
من الطعام ، فوافقت مرحبة .

وجلست ليليان الى مائدة بجوار النافذة . وراحت
تتطلع منها الى الأشجار القائبة كالاستباح في الظلام ،
وكان كل شيء يبدو هادئاً وأدعاً . وكان هذا ، أول مساء
لها مجرداً من الخوف والتلق ، والثورة النفسية . هذه
هى الحياة التى هزيت إليها . الحياة التى حرمت من
نذوقها أعواماً دون جدوى وكان مقدراً عليها أن تحرم
منها الى نهاية العمر .

وأقبل كثير فابت يقول لها ، وهو يتخذ لنفسه مقعداً فى
مواجهتها :

— أرجو ان يحوز اختياري لالوان الطعام اعجابك ؟

— اننى احب كل شيء هنا !

— وهذا ما أخصاه .

— وما هو سبب خوفك ؟

— لا يوجد ما هو اشد خطورة من امرأة تحب كل

شيء . وكيف يتأتى للرجل ان يحملها على أن تحبه دون

سواه . كيف يمكنه ان يمتاثر بحبها ؟

فرتت اليه ضاحكة . واقبلت الساقية تحمل صحاف

الطعام وكؤوس النبيذ .



جالت بخاطر كثير فابت على امتداد الطريق ، شتى

الخواطر . ترى هل سيفقدنا بمجرد وصولنا الى

باريس ؟ كلا ، يجب ان احاول الاحتفاظ بها . سأكون

مقناهى السذاجة ان لم احاول ذلك ،

وسألها ، وهما يواصلان طريقهما الطويل :

هل لديك فكرة عما ستفعلينه فى باريس ؟

— لى عم فى باريس . وهو الذى يقولى مصالحي

المالية — واعتزم مطالبة بتسليمى كل اموالى ، وما

أخسسه الا معتقدا اننى لا زلت قاصراً فى الرابعة عشرة

من عمرى .

— وكم من العمر بلغت ؟

— بلغت الرابعة والعشرين وثمانين يوماً .

فضحك كثير فابت قائلاً : كنت فى السادسة والثلاثين

وثمانين يوماً — حين عدت من الحرب ، ولقد بلغت الان

الأربعين .

وأخيرا أصبحنا على مشارف البحيرة وسألته ليليان :
 - ابن مستقيم ؟
 - بجوار البحيرة ، في فندق تامارو .
 - كيف تأتي لك أن تتعرف على كل مكان ؟
 - لقد أقمنا هنا عاما بعد الحرب ، وستعرفين السبب
 في صباح الغد .
 وتوقف بسيارته امام الفندق الصغير ، قائلا :
 بفتنى صاحب هذا الفندق مكتبة كبيرة ، انه من
 العلماء وثمة مدير لفندق آخر اعلى الجبل ، يفتنى لوحات
 فنية رائعة لسيسان ، واوتر ييلو ، ولوتريت ، ومن هذا
 القبيل ستشاهدين الكثير ، ما فوك في تناول طعامنا في
 مكان آخر ؟
 - اين يا ترى ؟
 - في بريساغو على الحدود الايطالية ، في مطعم
 يسمى جياردينو .
 - كما تشاء ، انك ادري بمعالم هذه البلاد ،
 ولم يكن النظم مزدحما ، وكانت نوافذه مفتوحة ،
 والنسيم رقيقا ، وفوق المائدة وجدا اناء به باقة من زهور
 الكاميليا البيضاء
 وسألته ليليان : ، قلت انك اقمنا هنا عاما ؟ على
 شاطئ هذه البحيرة ؟
 - اجل ، قرابة العام ، بعد الحرب ، وكنت ازمع
 الاقامة لايام قليلة ، ولكنها بلغت العام ، لقد كنت بحاجة
 الى ذلك ، بحاجة الى هذه الفترة من الاستجمام
 والراحة ، في صحتك ؛
 - ان الطعام هنا متقاضي الجودة .

- اجل ، وهذا يفضل عناية مدير المطعم المعروف
 بخبرته .
 - كلير فايت ؛ اننى جد سعيدة ، وان كنت لا اعرف
 ماذا تعنى كلمة السعادة على وجه التحديد .
 - وانا الآخر
 - ألم يسبق لك ان شعرت بالسعادة ؟
 - من حين لآخر ، وكان شعورى في كل مرة يختلف
 عن الاخرى ، وكنت وحيدا في اغلب هذه الحالات
 فضحكت ليليان ولم تعقب ، ونهضا عائدتين الى
 اسكونا ، وترك كلير فايت السيارة امام الفندق ، واتجهتا
 عبر الميدان الى حانة عيطا اليها درجا قليلا .
 وقالت ليليان ، لا اشعر بميل الى مزيد من الشراب ،
 اننى مسكرى بنشوة ما يحيط بي من جمال ، ماذا عساها
 ان تكون تلك الجزر في وسط البحيرة ؟ .
 - يقولون انها كانت معبدا اقيم لفينوس في عصر
 الرومان ، وقد اقام عليها بعضهم مظهرا في ايامنا هذه ،
 ويقولون ان الالهة ما زالت تؤم المكان في الليالي
 القمرية ، وان مدير المطعم يجد في الصباح كثيرا من
 زجاجات الخمر وقد افرغت مما بها دون ان تتزع
 سداداتها ، ان هؤلاء الالهة لم يكونوا يعرفون شيئا عن
 الشمسياتيا ، انها لم تعرف الا في العصور الوسطى .
 وفقلا راجعين الى الفندق ، ووقفت يتأفذة غرعتها ،
 وقد امتدت امامها البحيرة ، والليل ، واشجار الربيع ،
 واقبل كلير فايت بطوقها بذراعه ، فاستدارت وتواجهه
 فطبع على شفتيها قبلة طويلة ، فقالت له :
 - الست خائفا ؟
 - عن ماذا ؟

— من العدوى

— اننى لا اخشى سوى انفجار اطار امامى ، وانا اقود سيارتى بسرعة قدرها مائة وخمسة وعشرون ميلا فى الساعة .

وزفرت ليليان زفرة حارة . اننا عتشابهان . كلانا لا مستقبل له . ان مستقبله لا يمتد لأكثر من السباق التالى ، ومستقبلى رهين بالنزيف التالى . وابشمت وسمعته يستطرد قائلا :

— ثمة قصة حول هذا الموضوع . فقد كان هناك رجل فى طريقه الى منصة الاعدام فى باريس . وكان الطقس شديد البرودة ، والطريق الى الجيولوتين طويل . ووقف الحراس فى الطريق ، يشربون نبيذا من زجاجة معهم وبعد ان شربوا منها ، قدموها للسجين ليأخذ نصيبه منها . فتناولها منهم ، وبعد ان تسلبها لحظة ، قال لهم ، « من المفروض انه لا يوجد بيننا من هو مصاب بمرض معد ، ثم رفعها الى فمه وأفرغ ما فيها . وبعد نصف ساعة نفذ فيه حكم الاعدام . ولقد روت لى هذه القصة جدتى ، حينما كنت فى العاشرة من عمري . وكانت تستهلك زجاجة من الخمر يوميا . وكانوا يقتننون لها بالموت فى سن مبكرة ولكنها لا تزال على قيد الحياة وغضى المتنبئون نحيبهم منذ اعوام مضت . لقد اتيتك بزجاجة من الشمبانيا المعتقة .

ووضع الزجاجاة فوق قاعدة النافذة . ثم اتجه الى باب الغرفة يزعم الانصراف ، فنادت ليليان :
— كليبر فانيت . اننى لم ارحل عن المصححة لابقى وحيدة . . .

الفصل الثامن

كانت ضواحي باريس تمتد امامهما كنيية ، مظلمة ، ساكنة . تير انه كلما امتد بهما السير الى داخل المدينة الكبرى تغير الحال ، وبدأت معالم البهجة تنفذ الى صدريهما . وبدت باريس جميلة رائعة ، براقعة ، تنيه بنورها وبتلك انباني على جانبيه وانبرى كليبر فانيت قائلا :

— من هذه البقعة ، اقتادوا حارى انطوانيت لاعدامها . هناك مطعم ممتاز فى الجهة المقابلة . فى هذه المدينة ويمكنك ان تقرنى الجوع بالناربخ فى أكثر من مكان . اين تودين ان تقيمي ؟

— فى هذا الفندق الصغير .

— هل لك به سابق معرفة ؟

— وانى لى ذلك ؟ . حينما كنت هنا ، كنت اقيم فى

ينروم

— وماذا لا تقيمين مع عمك ؟

— ان عمى من البخلاء . وارجح ان يعيخذ له مسكنا من غرفة واحدة . هلم بنا نعبز الجسر لنستقصر عما اذا

كانت لديهم غرف خالية . وابن مستقيم ؟

- في فندق ريتز .

- طبعاً .

وعبرت السيارة بهما الجسر الى طريق

سانت - ميشيل . ثم الى كورتيش جراندي اوجستين ،

حيث توقفت امام فندق بيمون . وعاد كليز فايت يسألها :

- هل تزمعين حقاً ان تقيمي هذا ؟

- ان هذا الفندق هو الذي يناسبني ، ببساطته

وموقعه .

ولم يكن بالفندق مصعد ، غير ان الغرفة الخالية كانت

بالطابق الثاني . وكانت صغيرة فقيرة الاثاث . وان كان

مما يعرض هذا النقص ، ان نافذة الغرفة كانت تطل على

النهر ، وعلى كنيسة نوردام .

وسألها كليز فايت قبل انصراجه :

- هل توافقين على تناول العشاء معي الليلة ؟ وليكن

ذلك في الساعة التاسعة .

- الى اللقاء ، في الساعة التاسعة .

ووقفت تتابع سيارته بانتظاره . ولم يحدث انهما

تبادلا كلمة واحدة عن تلك الليلة بالسكون ، اثناء قطعهما

هذه المسافة الطويلة الى باريس . وارتقت الدرج الى

غرفتها ، حيث وثقت بالنافذة تفكر وتستعرض . قد

يعود ، وقد لا يعود . انه امر غير مؤكد . كما ان عودته

وعدم عودته ليست بالبالغة الاهمية ان كل ما يعنيه الان ،

انها في باريس تتنفس هواءها ، وتملى عينيها بعينها ، ومن

كل مظاهر الحياة فيها .

وبدأت تفض حاجياتها . انها لم تأت بالكثير معها .

كما انها لا تحمل معها الكثير من النقود . وحاولت

الاتصال بعمها دون جدوى . واعادت الكرة ، لتسمع

صوتاً . غير حائوف لديها . وانتهت اخيراً الى الرأي بان

عنها قد تنازل عن اشتراكه في التليفون . ثم تبادل الى

ذهنها ما روعها . ان عمها لم يكتب لها منذ فترة

طويلة ، ترى هل قارق الرجل الحياة ؟ لقد كانت تتلقى

نقودها من البنك رأساً . وجلست تفكر ملياً في الموقف من

كل وجه . ان ما معها من نقود لا يكاد ان يقوم بنفقاتها

اسبوعاً . ترى ماذا هي فاعلة ؟

وسمعت طرقاً على باب غرفتها . وكان الطارق

حارس باب الفندق يحمل اليها لفافتين . وكان بأصغرهما

حجماً باقة من الزهر . وبالثانية غطاء من الصوف مرفق

به هذه الرسالة من كليز فايت :

رأيت انك قد تكونين بحاجة الى هذه لان وسائل التدفئة

في باريس لم تزال دون الكفاية .

ونهدت ترددي ثيابها . ان رسالة عمها الاخيرة ما

زالت معها . وبها عنوانه الذي دونه بها منذ ستة اشهر .

وليس عليها الا ، الا ان تبحث عن هذا العنوان وتواصل

تجرباتها عن عمها هناك .

ولم تلق كبير عناء في البحث عن عمها . اذ كان بازال

مقيماً في مسكنه القديم . كل ما في الامر انه تنازل عن

تليفونه .

وبعد ان ابدت به رغبتها ، قال لها :

- امواك ؟ كما تشائين ولكن ، ماذا انت فاعلة بها ؟

وقيم هذه العجلة ؟

- اريد ان ابتاع ما اشاء وما يحلولي من ثياب .

فصاحق الرجل عن وجهها وقد استبدت به الدهشة

قائلاً :

- أنك صورة طبق الأصل من والدك •

- إن والدتي قد مات

- ثم يعد لديك الكثير مما خلفه لك والدك • ماذا

تعزّمين؟ ولماذا تغادرين سويسرا؟

- اتقي لم تغادر سويسرا ، لقد غادرت المصححة ، التي

لم أعرف سواها مكانا من سويسرا !

- ولكنك قد تبدين ما تبقى لك في أسابيع قليلة •

وبعدنا ••

- اطمئن .. لن أثقل عليه أو أصبح حميلا على

كاملك •

- ولماذا لا تتزوجين؟ هذا ما ينبغي لك • وفي وسمى

إن أدير أمر لقائك بالعوض من خيرة الناس •

وضحكت ليليان وتاملت هذا الرجل البالغ الثمانين

من سنه حياته ، وهو واقف امامها وكأنه قادر على

اجتياز ثمانين اخرى ، فقالت له :

- قليدكن •• والان خيرتي •• ماذا تفعل في حديثك؟

- ماذا الفعل؟ كل ما يفعله الناس •• فيم سؤالك؟

- ألم يسبق لك أن شعرت بتلك الرغبة الجامحة في

الانطلاق إلى أرجاء العالم ، غير مدخر وسما في تفوق

الحياة بجميع صورها؟

- لم أقل لك؟ أنك صورة من والدك ! أنه لم يكن

ليشعر بأنه رجل مسئول •• كان مستهترا لا يحسب

حساب المستقبل •• يدور بخدي الآن ، أنه من الخير لك

إن اطالب بالحجر عليك •

- أنك تعتقد أنني سأعثر أموالى في سفه وأسراف

ولم يدرك بخلدك أنك تبدين سنه حياتك هباء •• دعنا من

الاسترسال في هذه المناقشة العقيمة •• أنتى أريد أن

اتسلم أموالى غدا • لأننى أريد ابتياع تلك الثياب فوراً

ولا تفس أن المال مائى •

- إن والدتك

- أريده غدا •

وطبعت قبلة على جبينه • ولكنه استمررت قائلاً :

• ليليان ! استمعنى الى ! أياك والاندفاع • إن ابتياع

الثياب من المتاجر ذات الاسماء الرنانة يكف غالباً !

- وربما كان هذا صحيحا ولكنى لا ايالى

- تماما ، تماما ، مثل والدك !

- عماء ! الاتخشى الموت؟

- إن خواطرك لشادة غير ماثوفة •

- هذا صحيح • فما كان لى ان اوجه اليك مثل هذا

السؤال • ولكنى كثيرا ما اسأل نفسى هذا السؤال

بحيث اصبح بالوفاء لى ، ونسبت أنه يفزع الغير •

- أنتى ما زلت فى سحة جيدة • فاذا ما كنت تمنين

النفس بتركى فقد يطول بك الانتظار •

- كلا • ان شيئا من هذا القبيل لم يجلب بخاضرى •

- اين تقيمين؟

- فى فندق بيسون

- حمدا لله ! أنك لا تقيمين بفندق ريتز •



فى الموعد المحدد جاء كليز • واصطحبها الى مطعم

جرانديفور • وسألها -

- ماذا كان للدينا فى نفسك من انطباع؟

- اشعر بأننى أعيش بين قوم يعتقدون أنهم يعيشون

ايذا ولن يحوتوا أنهم حريصون على ما يملكون منها •

لقد تحدثت عمى جاستون عن وضعي تحت الحجر وعن تدبير أمر زواجي .

فضحك كثير فابت قائلًا : « يوده لو أنزلك في سجن

آخر قبل أن تتذوقى طعم الحرية .

— وما هي الحرية ؟

— لست أتري ، كل ما أعرفه عنها أنها شيء يصبو

إليه الجميع ولا يمكن تعميم وصفه .

— ومتى ستعود ؟

— بعد بضعة أيام .

— وهل أنت صاحبة في روما ؟

— أجل .

— هذا ما كنت أعتقد .

— ولماذا ؟

— لأن هذا هو ما يتفق مع طبيعة الأشياء وأنا بدوري

كان لي صاحب حينما أتيت لزيارتنا هناك .

— والآن ؟

— والآن ، أنني تشوي بحياي الجديدة ، بحيث

أصبحت عاجزة عن التفكير فيها .



بعد ظهر اليوم التالي ، توجهت إلى متجر بالنشياجا

وجلست تستعرض عارضات الأزياء وتمسك القنصر فيهن

جلسن من العميلات .

وأستقر رأيا علي ما راق لها من ثياب ، وسألتهما

الساعة أن تنهني لتجربة مقاسها ، فاستفمرت ليليان

بها عن الفترة اللازمة للاستئذان ، فأجابتهما :

— بعد ثلاثة أو أربعة أسابيع على الأقل .

بيدما يتركون أيامها تنساب من بين أصابعهم .

— ومع ذلك ، فأنهم جاغروا في زمن الحرب بأنهم لن

يسودوا لإرتكاب هذا الخطأ ، إذا ما قدرت لهم الحياة .

إن الإنسان لينسى كل شيء ، بعد زوال الخطر .

— وهل كان هذا هو شأنك ؟

— كلا ، حاولت أن انسى دون جدوى .

— لهذا السبب أحببتك ؟

— أنك لا تحبينني . . . إذا ما كنت تحبينني حقا ، لما

نطقت بهذه الكلمة بكل سهولة . ولما صارحتني بذلك .

— تری هل أحببتك لأنك لست ممن يتكروون في

الماقبل ؟

— إذا كان الأمر كذلك ، لكان لك أن تحين كل نزل

معك في المسحة ، لنرى الآن . ماذا تاكلمين ؟

— لماذا أحببتك أنت بالذات

— لأنني معك هنا ، ولأنك تحبين انني طراز

مجهول الاسم من الحياة بالنسبة لك ، ولشدة ما في هذا

الشعور من خطورة

— بالنسبة لي ؟

— بالنسبة للطراز المجهول ، فما أسر أن يحل محله

آخر ، أنتي راحل غدا .

— التي أين ؟

— بعيدا . . . يجب أن اذهب إلى روما .

— أما أنا فيجب أن اذهب إلى متجر بالنشياجا لاقتياع

ما أمضي من ثياب . أظن أنه أمدهم مدي من روما .

— أنتي اذهب إلى روما فعلا . فتمة عقد يجب أن أرى

ما تم فيه .

— حسنا ، سيبيع هذا الفرصة لي لأفرض لأشترواتي .

— أننى أريدها فوراً .

— لا يمكن . غير أننا سنبدل أقصى ما فى وسعنا . أنتا مثقلون بالعمل ، وسنحاول اعدادها فى أقرب وقت .
 ووقفت أمام المرأة ، تستبدل ثوبها بأخر وهى تستمع لاطراء العاملة لذوقها وحسن اختيارها .
 وتكاثرت حولها العاملات ، يرددن الاشادة بجمالها ، وما يضفيه على ثيابها من روعة .
 واتفقت أخيراً مع من بيدهن الامر ، على الحضور للاستلام فى مدى اسبوعين ، مراعاة لظروفها الخاصة .
 وغادرت لبلبان المتجر راضية ، قريرة العين . . . انها تنأهب لاستقبال الحياة !

الفصل التاسع

عاشت هذين الاسبوعين فى نشوة رائعة وبعد ان تسلمت ما أعد من ثياب لها ، بعثت بالفواتير الى عمها جاستون ، الذى لم يكن قد حول اليها حسابها بعد ، بحجة ان الامر يتطلب الكثير من الاجراءات .
 وزارها عمها فى اليوم التالي وقد ثارت ثائره ، قائلاً انها أبعد ما تكون عن الشعور بالمسئولية ، مطالباً اياها بالانتقال الى مسكنه .

— حتى أكون تحت سيطرتك ؟

— لكى تكونى أكثر تمقلاً . انها لجريمة أن تدعى مثل هذه المبالغ الطائلة ثمناً لبعض الثياب . . . انها يجب ان تكون مصنوعة من الذهب لكى تساوى هذا الثمن .
 — لو رأيتها لغيرت رأيك .

— مهما يكن من أمراً ، فإن هذا لا يبرر بحال ما ان يبيع المرء ما لديه من أسهم وسندات نقل عليه دخلاً محظوماً ، فى سبيل اتياع هذه المستهلكات ، يجب ان اتخذ الخطوات اللازمة لوضعك تحت الحجر .

— فلنحاول ذلك . ان أحداً من القضاة لن يستمع اليك . وقد تنقلب الامة عليك فى نهاية الامر . . . اذا لم

تعمل بتسليمي كل ما لي عندك ، سأبتاع ضعف ما أيا
بحاجة اليه وأبعث اليك بالفواتير .

- اتبديين ثروتك في هذه الخرق البالية ؟ .. انت
اذن ..

- كلا ، لست بالمجنونة . وان المجنون هو من يعيش
على الحرمان ، وهو يعرف أن أيامه في الحياة معدودة
ويخلف ماله لورثة يبدون ذركته . دعنا من هذا
الحديث ، وأقبل دعوتى لتناول طعام العشاء . أن الطعام
هنا جيد ، وسارتدى من أجلك ثوبا جديدا .

- لا تغيرى مجرى الحديث . أن بعثرة النقود ..
- أنت ستكون ضيقي . وأريدك أن تحدثنى بالكثير عما
يضطرب النائم فيمن حياة . هيا ، فلتجلس فى انتظارى
بالمطابق الاول حيث التحق بك .



بعد ساعة سمعت اليه النرج . وكان المم شاحب
الوجه وقد أمضه طول الانتظار ، وسرها أنه لم يتعرف
عليها . لأول وهلة . وأقبلت عليه قائلة :
- انصبا عرفنى فقد رايتك تصلىح من شأنك وتعمل فى
جاسنك .

هراء . أن قوة ابصارى ضعفت ، ثم انتك . . ولكن
لمن ترتدين هذا اللوب ؟
- لنفسى . لمتعة نفسى .
- اليس لك ..

- كلا . أعرف ما يجول فى خاطرك .
- هل تشعرين بالوحدة ؟
- أجل .

وتقدمت الى مطعم الفندق . ولاحظت أنه يلتزم فى
انتقاء ضعامة بقائمة الاسعار . أن هؤلاء البخلاء يفقدون
القدرة على تذوق الحياة والاستمتاع بها فى عمل
حرصهم الشديد . أن هؤلاء البخلاء يفقدون القدرة على
تذوق الحياة والاستمتاع بها فى تبار حرصهم الشديد .
وحينما راح يحدثها عن طفولتها ، قالت له : « دعنا من
هذا الحديث . أريد أن أعرف منك شيئا واحدا : لماذا
سمعت بلديان « اننى اكره هذا الاسم » .

- كان هذا بناء على رغبة والدك .
- ولماذا ؟

- حينما كان فى مقبل العمر ، سافر هو ووالدك الى
نيويورك لفترة ما . وقد علمت فيها بعد ، بأنه كان على
علاقة غرامية بفتاة تدعى ليليان . معذرة ! أنتك من ..
- اننى جد مسرورة لعلمى بذلك . كنت أحس أن
الاسم كان من اختيار والدى . التى كتبت تهوى القراءة
فحسبتها انتقلت من أحد الكتب .

- ليلى ؟ هل تمعزمين الاقامة هنا ؟ الا ترين أنه لا يابق
يك ؟

- ان النبيذ قد اتى ثماره ! وجعل منك أكثر
انسانية !

- سأقيم مادبة تكريما لك .
- حسنا .
- لقد أصبحت فتاة رائعة الحسن .



وفى روما : كان كثير فابت بقضى نهاره بين مكاتب
العمل ، وبين المقاهى . وكان يمضى أمسياته مع ليلديا

موريللي وكان يفكر في ليليان ، في أيامه الأولى من حين
 لآخر . ثم نسي أمرها ، فيها بعد ذلك من أيام . لقد كادت
 أن تستحوذ على قلبه ، الأمر الذي لم تكن له به سابقة
 عهد مع النساء ، وكان زواهاً بمنزلة يتسغيرة تجنح إلى
 المغالاة في كل ما تفعل . ولعلها أن تجنح إلى الاستقرار
 أخيراً . أنها لم تجزل أسيرة عما يمتلكها من خاطر أنها يجب
 أن تلحق بقطار الحياة قبل أن يفوت الأوان . وسرعان ما
 استجد أن خواطرها لم تكن سوى أوهاام ، ونسيح كغيرها
 من النساء . من طراز ليديا موريللي مثلا . صحيح أنها
 لم تؤت بداعة ليديا أو حنكة تجاربها ، أنها من هذا
 الطراز من النساء اللاتي يتأسسن الرجل العاطفي
 الشاعرى ، الذي يمكنه أن يكرس لها الكثير من وقته .
 وهو ليس بالرجل الذي يصلح لها . كان يجب أن تبقى
 إلى جوار فولكوف ، أنه الرجل الذي يصلح لها ، وأن
 كان لم يستطع الاحتفاظ بها . أن كيرقابت ينتج أسلوبا
 مختلفا من الحياة . وهو لا يريد أن يرتبط بشيء ارتباطا
 وثيقا . أن ليديا موريللي على المرأة التي تناسبه . ولم
 تكن ليليان سوى تجربة عارضة لها سحرها المؤقت في
 فترة اجازته .

وبعد أن انتهى به تفكيره إلى هذا الرأي ، شعر
 بالراحة وسرى عنه . وليس أمامه الآن سوى أن يتصل
 تليفونيا بليليان في باريس . موضعا لها حقيقة الوضع
 بينهما . ولعن الأمر له ليتطلب منه أيضا . فقد تكون
 ليليان قد انقوت من استمراضها للأمر إلى ما انتهى إليه
 هو . ولكن ، قيم هذه الرغبة التي يشمر بها في أن يلقاها
 ثانية ؟ ولم يطل به تفكيره في ذلك . فبعد أن تم توقيع
 عقده بيومين ، أتت ليديا موريللي رغبته في السفر إلى

باريس . ولما كانت تذكره السفر بالسيارة أو جوا ، فقد
 استقلت القطار بينما استقل هو سيارته .



كانت ليليان تضحى الليل بظلامه . فقد كان يعنى لديها
 ضيق التنفس ، والوحدة القاتمة ، والخوف المجسم من
 الموت . وكانت تحفظ بغيرتها مضاعة في الصحة ،
 لتقص عنها تلك الاشياح التي تترامى لها في الظلام .
 وكانت ليالي باريس ارقق بها ، بما ازخر به مرشوساء
 وحياة لا تهدأ حتى الصباح . وكانت تقضى بعض هذه
 الليالي وهي تتحسس ثيابها الجديدة ، وتبني النفس بما
 سيكون من أمسيات المستقبل بل كانت تنهض أحيانا
 فترتدي البعض منها ، وتقف أمام المرآة تنامل جمالها
 وتمتع عينيها بصورتها الجديدة ، التي تتفجر أنوثة
 وبهاء .

وحيثما تم بينهما اللقاء ثانية ، وقف كثير فابت يحلق
 بعينيها . فقد تغيرت من حال إلى حال وكان قد اتصل بها
 تليفونيا ، بعد عودته إلى باريس بيومين . لقد قام بذلك
 لمجرد تلبية واجب المجاملة وبفكرة قضاء ساعة لقاء
 معها . وبعد اللقاء أصبحت الساعة أنسية بطولها . ولم
 يكن ما شده اليها هو ثأره بروعة ثيابها كلا . لقد رأى
 كثيرات بثياب لا تقل جمالا . وكانت ليديا موريللي من تلك
 النساء الخبيرات بالثياب الغالية الثمن . أن الأمر أكثر
 من ذلك وأعرق . فقد بدا له أنه ترك فتاة ناشئة ،
 وعاد بعد بشعة أسابع ليجد أمامه امرأة مكتملة الأنوثة
 طاغية السحر . ورآه يعدل عن قراره السابق ، ويزداد
 بها تعلقا . .

بعد بضعة أيام من لقائهما قالت له ليليان : « ان عسى جاستون يريد ان يفهم مذبذبة من اجلى » .
- هكذا ؟

- اجل . لانه يريد ان يمهّد لي طريق الزواج
- وفيهم هذه العجلة ؟

- انه جد قلق من اجلى . . انه يريد ان يجنى بهذا الزواج نتائج اسرافى وتهورى .
والترم كثير فانيت جانب الصمت . فاستعرت قاتلة :
- يبدو انك فقدت لسانك فى روما ؟ أم ترى هي المرأة
التي قدمت منذ لحظة ؟

وكانا يجلسان الى مائدة فى مطعم جراند فيفور الذى سبق ان تناولنا به طعام العشاء فى اول ليلة لهما فى باريس . فقال لها أخيرا :
- أية امرأة ؟

- أوجب ان احده لك مكان جلوسها ؟

وكان كثير ثابت قد لمح ليليان موربالي فى قدمها .
وما ان وقع نظره عليها ، حتى تساءل فيما بينه وبين نفسه دهشا :

- « ترى ماذا اتى بها الى هذا المطعم بالذات » ؟

ولم تكن له معرفة سليمة بالرجل الذى كانت فى صحبته . وكان كل ما يعرفه انه يدعى جونسون وأنه من كبار الاثرياء . وتبادر الى ذهنه انه سبق ان اصطحب ليليان الى هذا المطعم أكثر من مرة . ولما كان قد اعتد لها عن عدم استطاعته تمضية مساء اليوم فى رفقها ، فقد أدركت بثاقب فكرها ، انه ربما يكون على موعد مع امرأة اخرى ، وأن من المرجح ان يسمحبها الى مطعمه المفضل .

وقطعت عليه ليليان حبل افكاره بسؤالها :

- هل تعرفها ؟

- اجل . . ولكنها ليست معرفة خاصة .

وتبين ان ليليان لم ترفع عينها عن ليليان ، وانها كانت تدرس بامعان كل قطعة من ثيابها . وليليان خبيرة فى مثل هذه الاشياء ، وخير من يربتها بميزانها الصحيح . ورأى ان يستغل الموقف الذى لم يكن فى الحسبان لمصلحته وعندما سمع ليليان تقول :

- انها تمنى باناقتها .

- انها معروفة بذلك .

وكانت ليليان فى الاربعين من عمرها ولكنها تبدو فى

الثلاثين نهارا ، وفى الخامسة والعشرين ليلا .

وتوقع كثير فانيت ان تبدي ليليان ملاحظة بشأن سن ليليان . ولكنها انبرت قاتلة ، « انها جميلة . . هل كانت لك بها علاقة ؟ »

- كلا .

- يالك من احمق !

- ولماذا ؟

- لانها رائعة الحسن . اتراها عن روما ؟

- اجل . . من روما . هل تغارين منها ؟

- ياللمسكين ! كلا . فليس لدى متسع من الوقت

للتشعور بالفيرة

فصلق كثير فانيت فى وجهها دهشا . . ولو ان ليليان كانت امرأة اخرى ، لكان قد رأى فى قولها هذا مجرد وراء . ولكنه كان يشعر فى قرارة نفسه ان ليليان صادقة فيما قالت . انها تعنى هذا فعلا ولم تنطق الا حقا . ونجاة وبدون مقدمات وجد انه يقول لها محاولا ان يسبتر على اعصابه .

- هل يمكن أن نخوض في حديث آخر ؟
 - لماذا ؟ لأنك عدت إلى باريس تصطحب امرأة أخرى ؟
 - هراء ما تقولين ! ما الذى يحبك على مثل هذا الضن ؟
 - البس هو الحق ؟
 - بلى : أنه الحق .
 - وشعر كليرفايت أنه أولى له أن يقلع عن أنكاره . وبدلا من أن تتور ، سمعها تقول له :
 - أسمح لى أن أطري ذوقك .
 - وأطرق فى انتظار السؤال القالى . وكان على استعداد للافضاء بكل شيء . وكان يدرك أنه مسئول عن هذا الموقف ، وأن متطقه لن يسعفه فى الخروج منه . ولم يعد أمامه سوى المخاطرة لعله أن يستعيدها أو يفقدها الى الأبد . فقال لها :
 - ليليان ، اننى لم أضع نصب كينى أن أفرض نفسى عليك وأنغمس فى علاقة غرامية بك .
 - فابتسمت قائلة : « أن هذا الا قول صبرى لم يشب عن الطوق . ولست أرى فيه علاجا للموقف » .
 - كلنا فى الحب صببية أغرار .
 - الحب ؟ ! ياله من لفتن أخاز ! لكم تخفى هذه الكلمة تحتها من أشياء ! هل توافق على مغادرة هذا المعلم ؟
 - الى أين ؟
 - أفضل العودة الى غرفتى بالمفندق .
 - ولم يعقب كليرفايت بشيء . ودار بخلده أن كل شيء بينهما قد انتهى . ونهضا فى طريقهما الى الباب ، مارين بمائدة نيديا موريللى . وتجاملت ليديا كليرفايت .

وأومات ليليان الى سيارة كبير فايت التى كانت بجوار باب الدخول قائلة :
 - هذه السيارة هى التى كشفت امرك . هيا بنا الى الفندق .
 - لم يحن الوقت بعد . هلم بنا الى حدائق القصر الملكى .
 - لقد طفت بهذه الحدائق أكثر من مرة . الا تخشى اتهامك بالزواج من اثنتين ؟
 - دعينا من هذا الحديث الآن . هيا معى .
 - ودلنا الى حدائق القصر . وكانت رائحة الزهر نفاذة قوية والنسيم عيلا منعشا . وتوقفه كليرفايت عن السير قليلا لا تقولى شيئا ، ولا نطالبينى بهزيد من الايضاح ، اننى لا قيل لى بشيء . من هذا القبيل .
 - وما عسانى أن أظلمك به من ايضاح ؟
 - أحقا ما تقولين ؟
 - أجل . لم يطرا على بالى شيء من ذلك .
 - اننى أحبك .
 - اننى لم أجعل من الأمر مشكلة وعشدا بيننا !
 - كلا . أحبك لماسته عنك من مسلك ممتاز .
 - لست أرى فيما كان منى ما هو جدير بكل هذا الاطراء . أتعرف لماذا لاننى لا أعرف كيف تكون هذه المشاهد .
 - وكانت ثقف فى مواجهته ، وقد عبث النسيم بخصلات شعرها . وراها أمامه وكأنه لم تسبق له بها معرفة من قبل . واننى نفسه يقول لها :
 - أحبك . ويحتضنها بين ذراعيه ويقلبها ولم تقاومه . بل ظلت متعلقة بذراعيه ، غائبة عن وعيها . فامسك بها من كتفيها قائلا .

- قولي شبيهاً ! أى شيء ! قولي لى أن أذهب بعيداً
عك ، أرا كان هذا هو ما تريدين ؟؟ اصفيعيني على
وجهي ولكن لا تقفى هكذا كتمثال أصم -
فتخلصت من قبضته قائلة :

- وإنذا أسالك أن تذهب منى ؟
هل تريدين منى حقاً أن أبقي معك ؟

- أن كلمة ، تريد ليس لها محل فى ليلتنا هذه ، هل
تحسن بلهجات النسيم ، ترى ماذا يريد هذا النسيم ؟
فتأملها قليلاً ، ثم قال لها وقد تملكه شعور جارف :
- اعتقد أنك تعنين كل ماتقولين .

- ولم لا ؟ لقد قلت لك أن الأمر أهون مما تفكرين ،
وأطرق قليلاً ، وهو لا يدرى ماذا يقول أو يفعل ،
وأخيراً قال لها
، فليكن ، سأذهب بك الى حيث تريدين ، الى
الفتق .

ومشياً ذراعاً فى ذراع ، وراح يحدث نفسه قائلاً :
« ماذا دهاني ؟ » لقد اختلط الأمر على ، ولم أعد
أدرى من أمر نفسي شيئاً ، لقد اغضبنيها ، وأغضبت
ليديا ، وأنا وحدى اللوم .

وبلغا من سيرهما حيث أودعا أمام المصمم سيارتهما
وفى هذه اللحظة كانت ليديا حوريللى وصديقتها منصرفين
من المصمم ، وكان عليهما أن يتريثا الى أن يتحرك
كلير فايت بسيارته ، ولم يكن شهة بد من أن تبدأ
كليرفايت تحية وتقدم اليه صديقها ، واستتبع ذلك انمام
التعارف بين المرأتين ، وبينما كان كل من الرجلين منهما
فى سائرة التحرك بسيارته فى الشارع الضيق ، كانت
ليديا تضيق الحناتي على ليليان لتعرف منها كل ما تريده

عليها ، فى جراءة لا تتفق وحدانة عهدهما
بالتعارف ، وكانت ليليان بنورها ، حريصة على أن
تجاهل هذه المناورة وتجنب عما بوجه أنها من أسئلة
فى سذاجة ورقة ، انسدت على الأخرى عدوانها المقنع ،
ولم يخف هذا على سديق ليديا ، سارحها بما تبينه ،
عندما استطلت سيارته ، وذهب كل فى سبيله .



وفى طريق العودة بالسيارة قال كليرفايت ليليان ، لقد
أدبت نورك خبر أداء أنها لم تعرف منك من عسات أن
تكوني ، ولا من أين أنت قادمة ، ولا أين تقيمين ،
- ولكنها سرعان ما ستعرف كل شيء على .
- من أ منى .

- من صانع رباتي ، لقد عرفت من يكون .
- وهل ضايقت منها ذاك ؟
- لا يعنينى هذا فى كثير أو قليل ، سر بتنا عن طريق
ميدان الكرنكورد ، فالיום يوم أحد ، وستكون النافورات
مضاعة .
- أنك ما عدت تهتمين بشيء ، ترى ماهو السر فى
ذلك ؟

وجال فى خاطرهما ما كانت تود أن تجيب به لائنى
أعرف أن منيتى قد حانت ، وأن أيامى فى الحياة ،
معدودة ، لقد وطئت نفسي على ألا أرى من الحياة غير
جانبا المشرق ، وعلى ألا أدع شيئاً ما يمكن على صفو
هذه الحياة ، ولكنها قالت له لتغير مجرى الحديث ،
« تأمل هذه النافورات ! »

وقاد سيارته على مهل حول الميدان ، وكانت ترى فى
كل ما حولها الجمال ، وتبتع ناظرها ببشهاد المياه

المتغيرة الألوان ، وتنتصت لتسمع في خربها همسات
الحالمين ، ياله من ميدان جميل !
— أجل . هذا الميدان الجميل كان مسرحا لمساة
التاريخ ، وشهدا لقطع رأس ماري انتوانيت في يوم
ما . ما أعجب نصارى القدر !
— وتقدم بنا الى الشانزليه ، ليتيسر لنا مشاهدة
نافورات رونديوا .
وسألها كلير فايث : بعد أن بلغ من سيره تلك
النافورات ، وهذه ، ألا تثير اهتمامك هي الأخرى ؟
— أن روعتها لا تقاوم .

وشعر بالرغبة في أن يودع شفيتها قبله تطفئ ما في
قلبه من هيام . ولكنه لم يكن وثقا مما سيكون من أمرها
معه . ووجد نفسه يقول لها في حرارة وانفعال :
— احبك . ليليان ، هلا نسيت كل شيء . كل شيء
عن هذه المرأة .

— ولماذا لا تكون لك صاحبة ؟ وهل تعتقد أن هذا
لم يكن من شأنى ؟
— فى المصحة ؟
— بل فى باريس . أننى لا أطيق الوحدة . والان ، هيا
بنا الى الفندق لأننى متعبة .

واندفع كلير فايث بسيارته وهو جد محقق لمواجهته
بما أثار غضبه بينما يشعر بالحجز عن مناقشتها فى ذلك ،
بعد أن تكشف لها أمر علاقته بليديا . ومهما يكن من
أمر ، فإن ما يعنيه الآن ، هو الأيفدها . وأنه لا يدرى
ماذا هو فاعل ؟ أنه لا يستطيع الآن أن يودعها عند باب
الفندق ، ثم يواصل طريقته . أن هذه هي فرصته
الأخيرة ، فإن هي اطلت من يده ، فسيفقدنها الى الأبد .

وعند باب الفندق ، قرر ألا يودعها ، بل قال للحارس :
— هل يمكن أن تأتينا بشيء من المطبخ ؟
— بكل سرور ، ياسيدى . ماذا تريد ؟ شمباتيا
بيرة ؟
— تريد قبل هذا قليلا من الكافيار .
— هذا غير ممكن . لأن مفتاح الثلاثة مع المتغيرة .
— إذن فلتأتنا به من مطعم لابيرور الكائن عند
الناصية . وسنقف فى انتظارك هنا . وسأحل محلك
ريثما تعود .
فأبترت ليليان قائلة : « ليست بى رغبة فى تناول شيء
من الكافيار » .
— ماذا تريدين إذن ؟
— كليرفايت ، أننى لا أصطحب معى أحدا فى مثل هذه
الساعات من الليل .
وأردف الحارس قائلا : « فى الواقع ، إن السيدة لا
تصطحب أحدا عند عودتها . أن هذا أمر غير بالوفى هل
أتيت بزجاجة من الشمباتيا ؟
— الى بها ، وبأى طعام تأمر به السيدة . هيا ،
تحرك .



وعاد الحارس يحمل الشمباتيا ، وما أمرت به ليليان
من طعام . واستقر منه كليرفايت عما إذا كان لديه غرفة
خالية له أن الغرفة رقم ٦ المجاورة لغرفة ليليان خالية .
وأمره كلير فايث بأن يحمل إليها الطعام والشراب ،
كما أمره بشراء قطعة من الصابون وفرشاة أسنان
وبعض حاجيات أخسرى ، وأن يترك هذا كله أمام
باب غرفته فى الصباح .

وبعد ان استقر بهما المقام فى غرفتها ، قال لها
كبيرفايت ، « كنت اخشى ان تركتك الليلة ، الا نلتقى
ثانية » .

وكانت ليليان جالسة فوق قاعدة النافذة ، فمرت اليه
قائلة

« وهذا ما يدور بخلدى كل ليلة » .

— ماذا تقولين ؟

— ائنتى قدلا ارى ما اراه ثانية .

وشعر بالم دفين فى صدره ، وراهما حيث تجلس ،
تمثالا لتوحدة القاسية ، فقال لها

« احبك لست ادرى ما لهذا الاعتراف من صدق فى
نفسك ، ولكنه تعبير صادق عما اشعر به »

ولم تعقب بشيء ، واستطرد قائلا :

— انك تعرفين اننى لا اتول لك هذا نتيجة لما حدث

الليلة ، ائنتى لا احب ان اكون سبيبا لى ايلامك .

— اعتقد اننى ابعسا اكون عن ان يساء الى ، لقد
سبق لى ان صارتك بهذا تعقيا على ما حدث .

ولم يدرك كبيرفايت بماذا يعقب على قولها هذا ، ان
الغموض يكتنف ما تقضى به اليه ، واثر ان يدع الامر

عند هذا الحد ، فتأملها قائلا :

« ان كل ما فيك جميل اخاذ ، الا تريدان ان ناكلى او

نشربنى شيئا » .

— بلى ، ناولننى ما تشاء فالدليل لنا

— بعد بضعة ايام ، ستسافر الى صقلية للاشتراك فى
سباق يجرى هناك ، عن مسافرين معى ؟ ان احتمال فوزى

بهذا السباق بعيد !

— وهل تريد دائما ان تكون الفائز ؟

— هذا ما يجب ان يتحلى به الانسان .

الفصل العاشر

كان عصفور الكناريا يصدح مقرنما فى هناء ، وصحا
كبيرفايت من نومه على النغم الجميل ، والذى نغمة على
ساعته ، انها ساعة الظهيرة ، تلك اول مرة منذ شهر
ينام فيها الى مثل هذه الساعة عن النهار ، ونهض يفتح
باب غرفته ، ليجد ما امر به الحارس من حاجيات ، وعاد
الى الحمام يغتسل ، ثم يرتدى ثيابه .

وتوجه الى غرفة ليليان ، التى استقبلته هاشية ، وهى
تسأله عما اذا لم يكن قد تناول طعام افطاره بعد ، فلما
اجابها نفيا ، تقدمت اليه الخبز ، والزبد والمرس ، ثم
انارت الى رسالة فوق المنضدة تامله : « انها من
عمى جامستون ، انه سيقدم مادية عشاء بعد الغد ، تكريما
له ، هل تحب ان اتيك بدعوة ؟
— كلا .

— حسنا ، انها قد تفسد الغرض من هذه المادية ، انها
تقام بهدف اختيار زوج ثرى لى ، ام تراك من الاثرياء ؟

— ليس لاكثر من بضعة اسابيع ، هل تزمعين الزواج
اذا ما عثرت على الزوج العريض الثراء ؟

– الى بكائس من النبيذ ولا تكن غيبيا .
– أنك قادرة على كل شيء .

– منذ متى سيطر على ذهنك هذا الاعتقاد ؟
– منذ أن فكرت في أمرك مليا .

– ومتى تسنى لك أن تفكر في أمري ؟

– بينما كنت مستلقيا في فراشي . انك طراز فريد في
بأيه ، لك قوانينك الخاصة بك .

– حسنا . انه اعتقاد لا يقدم ولا يؤخر . ماهي
مشروعاتك عن مساء اليوم ؟

– مساء اليوم ، سأصحبك معي الى فندق رينز ، حيث
تجلسين في البهر في انتظارى ريشا اصعد لاستبدال
ثيابي . وبعد ذلك ، نتناول طعام الغداء ، وفي الليل
نتناول طعام العشاء وهكذا سيكون غدنا ، لكي نفسد على
العم جامسون خططه لبعث الغد

ووقفت تتطلع من النافذة ، دون أن تجيب بشيء .
فاستطرد قائلا

« وأن شئت ، ذهبت بك الى فوتردام ، أو الى احد
المقاهف ، أو الى برج ايفر . أو الى أى مكان آخر . أيتها
المبعوثة من بلاد الاغريق هل أنت سعيدة ؟

– وما هي السعادة ؟

– ألم تدري معنى بعد ؟ ومن ذا الذى يدري حقيقة
كنهها ؟ قد تكونين على حق . قد تكون فى الرقص فوق
خيوط واد على حافة هاوية !



كانت بيليان فى طريق العودة من مأدبة عمها
جامستون ، وكانت تستقل سيارة الفيكونت دي باينستر الى
مغتنفها ، بعد أن أمضت أمسية ممتعة . وكان مدعوا الى

المأدبة ستة رجال وسبع نساء ، ومن بين الرجال أربعة
غير متزوجين . وكانوا جميعا من اثرياء القوم
وسألها الفيكونت دي باينستر ، « ولماذا اخترت الإقامة
على الضفة اليسرى ؟ هل كان هذا لدواع خيالية ؟ !
– لقد كان اختيارا عفويا .

– كان يجب أن تقيمي بأحد مساكن ميدان قاندوم .
لدى مسكن على هذا الميدان . وهو مسكن لا أستفيدبه .
– هل تؤجره لى ؟

– بكل سرور .
– وما هي قيمة ايجاره ؟

– ولم هذا الحديث المادى البحت ؟ إذا حال المسكن
اعجابك ، فهو لك .

– بدون أية شروط ؟
– بدون أية شروط . أن هذا من دواعى سرورى . هل
توافقين على زيارة المسكن غدا ؟ وهل تقبلين دعوتى
لغداء بعد ذلك ؟

– وهل يتسع المسكن لأكثر من واحد ؟
– أجل . ولماذا ؟

– ربما أردت أن يشاركنى فيه غيرى .
– ومع ذلك ، فغنى أفضل لك الإقامة بمفردك لفترة
ما . أن لك فى باريس بضعة أسابيع فقط . وأرى انه من
الخير لك أن تتعرفى على معالم المدينة أولا .
– معك الحق .

وتوقفت بهما السيارة أمام الفندق . فسألها
الفيكونت ، « هل اتفقنا على اللقاء غدا ؟

– يجب أن أفكر فى الامر مليا . هل يضررك فى شيء أن
أسأل عمى رأيه ؟

– لو كنت مكانك ، لما فعلت شيئا من هذا القبيل ، فقد

بسيء تأويل الامر . ومهما يكن من أمر ، قاني أعتقد أنك
أن تطلبي مشورته . اسمحي لي يا آنسة ، بأن أصارحك
القول : أنك أمام رجل عرك الحياة ، وأنت بحاجة الى هذا
الطراز من الرجال طابت ليلتك يا آنسة



ارتقت الدرج الى غرفتها وهي غارقة في خواصرها .
لقد كانت مادية عنها تجرية جديدة لها . وكانت تشعر
بما يشعر به القادم من كوكب آخر . إذ لم يتسن لها أن
تفهم ما يتحدث عنه الضيوف . أن بعض ما كانوا
يتحدثون عنه باهتمام ، كان من الامور التي لا تعبرها أي
اعتناء . وكان عرض الفيكونت دي بايسنر ، هو الشيء
الوحيد الذي شد اهتمامها في هذه الامسية
وبالمرحى ككثيرايت الذي كان في انتظارها بسؤاله :
هل كانت مادية ناجحة ؟

حسبت أنك جالس فعافر الخمر في مكان ما .
لم أشعر برغبة في ذلك . أو على الأقل لم أعد
السيخ المشرب في غير وجودك .
وهل كان من عادتك ادعائك المشرب ؟
في فترات ما بين كل صباح . وقد يكون هذا هربا
من ذات نفسي . ولقد أقلعت عن ذلك الآن . فقد أمضيت
بعد ظهر اليوم في سانت شابلل . وغدا سأقوم بزيارة
لمتحف كلوني . لقد أعجب بك كل من رأسي في صحبتك .
هل تحبين أن تخرج معا ؟
ليس الليلة !

لقد أمضيت أمسيك مع اناس يعتقدون ان الحياة
ليست سوى مطبخ ، وغرفة نوم ، ولا يدركون أنها قارب
شراعى . تعدد الاثرة ، قد ينقلب بهم في أية لحظة .

أنت بحاجة الى بعض التغيير ، الا تحبين أن تقوم برحلة ؟
- أين ؟

- في كل شارع وفي كل حلهى ليلى . أن هذا البهاء
وتلك الاثارة يجب ان تراهما كل باريس
- فيمكننا تزييد . . . هلم بنا .

وحلس ككثيرايت ينتظر في سيارته وكان المطعم المجاور
للفندق قد بدأ يغلق أبوابه وسمع صوتا يقول :
- العاشق الولهان . الست أكبر سنا من أن تصلح
لهذا الدور ؟

وكان الصوت صوت ليديا موريللى . وكانت تتقدم
صديقها في انصرافهما من المطعم . وأجابها ككثيرايت :
- فعلا . تكبر بكثير .

- انها لهزلة ! دورك الجديد هذا مع تلك الفتاة .
يا أن حديثك هذا يتم عما تركته هذه الفتاة من أثر في
نفسك . انها شهادة في مصلحتها . هل أخذت جمالها
الى هذا الحد ؟

- جمالها ! تلك الافاقه التي تقيم بقندق من الدرجة
الرابعة ولا تمتلك من الشباب سوى ثلاثة تتظاهر بها :
- ثلاثة فقط ؟ كنت أعتقد أنها ثلاثون . ليديا ، منذ
حتى تقويمين بدور المخبر السرى لجمع المعلومات عن
صغار الفتيات ؟ ألم تتجاوز هذه المرحلة منذ زمن مضى ؟
ولم تجد ليديا متسعا من الوقت للاجابة والتعقيب ، إذ
كان صديقها قد لحق بها ، فتأبطت ذراعه وذهبت في
طريقها .

وبعد قليل أقبلت ليديان ، فاستقبلها قائلا :
- لقد سمعت للتوى من بعضهم اطراء سحر ك . لقد آن
الآن لتكونى من المحجبات .

- هل طلال بك الانتظار ؟
 — كلا . أن فرحة اللقاء تقصر من أمده .
 وانطلقا في جولتهما .
 كانت الساعة الرابعة صباحا ، حينما سألها
 كليرفايت :
 — هل توصل جولتنا الى مكان آخر ؟
 — أجل . أم هل تراك متعبا ؟
 — ليس بعد . هل سررت بهذه الجولة ؟
 — كل السرور .

— حسنا . هيا بنا الى ملهى آخر .
 لم يزل حتى مونارتر يضطرب بحمى ما بعد الحرب .
 ولو لم تكن ليليان . لما فكر كليرفايت في زيارة ملاهى هذا
 الحى . أن كل شيء جديد في نظرها . أنها جوانب الحياة
 التي حرمت منها وتاقت لمشاهدتها طويلا وهذا ما
 يجعلها مستعدة بكل شيء . وكل هذا يضاعف من تعلقه
 بها ومن محبته لها . أنها طراز جديد من النساء ، يرى
 في كل ما حوله الجمال ، ويسعد بكل ما يقع عليه
 بصره . ووجد أنه كقول لها ، أظن أنني أسرفت في
 الشراب .

— وكيف أدركت هذا ؟ ما هو الحد الفاصل بين
 الاعتدال والإسراف ؟

— هو الحد الفاصل بين المعرفة والانتكار .

— ليتنى تتجاوز هذا الحد الذى أنكرفيه نفسى !
 يالها من مخلوقة عجيبة ! أنها تريد أن تمر بكل
 تجربة ! أن كل ما صدر عنها يتبىء عن دخيلة نفسها .
 أنها تدرك أن أيامها في الحياة معدودة ! وهذا الإدراك

- هو أساس كل مشاعرهما . أنه كالخمر يمتلك من المدمى .
 وأبىرى يقول لها ، « أعبدك » .
 فأجابه لأنه أكثر من هذا القول ، خشية أن يصبح لدى
 كالماء والخبث .
 — ولكننى لا أستطيع أن أكبح جياح نفسى وأنا فى
 صحبتك . هاهى وجهتنا التالية ؟
 — الى الفندق لأننى أريد أن أنتقل منه .
 — غليكن . هيا بنا لنعد حقائبك .
 — انها معدة فعلا .

— الى أين تريدان الانتقال ؟
 — الى فندق آخر . ان امرأة ما قد دأبت على الاتصال
 فى تليفونيا ، فى اليومين الماضيين ، لتقول لى أن أعود
 من حيث أتيت . الى آخر هذا مما تردده على سسمى .
 — ألم تقينى صوتها ؟

— انها تتكلم الفرنسية بلكنة أجنبية .
 ودار بخلد كثير فهايت أنها قد تكون ليدياموريللى ، على
 الأرجح . فقال لها :

- ولماذا لم تحدثنى بذلك من قبل ؟
 — ولماذا ؟ هل يمكن أن أجد بفندق رينز غرفة خالية ؟
 — يمكن .
 — حسنا . ان عمى جاستون سيغمى عليه عندما يسمع
 عن مكان إقامتى الجديد .

قالت ليليان لكبير فايت ، وهى جالسة فوق حافة
 فراشها ، تستكمل معه اعداد حاجياتها :
 — اننى أشعر بالأسى لعادرتى هذا الفندق . لقد كنت

أحب كل شيء فيه . غير أنه من ذابى أن أحب بدون أسى .
هل أدركت ما أعني ؟

— هذا ما أخصاه . نعمين أنك لا تأتسبن على شيء .
فصحتك . وارتشفت جرعة من كاس النبيذ الذي كان
بديما معقبة :

— اننى لا أنظر الى الوراء . إن ما أتركه . لا أشغل
ذهنى بالتفكير فيه . إنه يصبح ماضيا فى طوايا
التسيان .

ليس من شك فى أن مصيرى معها سيكون
كذلك . نهجرنى كما نترك فنديتها . تلكم هى ليليان من
شغلتنى عما عداها .

وقطعت عليه حبل استغراقه بقولها :

— اننى جدمفرمة بك . لماذا لا أتأديك باسمك ؟
— هذا ما لا يفعله غيرك .

— إذن ، فسيكون هذا من أقوى الدواعى لذلك .

وعاوتها كليلر فابت على ارتداء معطفها . ولودع
حقائبها سيارة أجرة تبعت سيارته . وسالته ، وهنا فى
طريقهما الى الفندق :

— هل تطل غرفتى بالزيتز على ميدان فنديم ؟
— أجل .

واستدار بسيارته فى الميدان . وكان السكون مخيما
على هذا الميدان ، فى تلك الساعة المبكرة من النهار .
وتوقف بسيارته أمام منخل الفندق ، قائلا :

— اننى جدم سعيد . سعيد بأننا معا . وبعد أن نتالى
فمسلك من الراحة . سنتجه جنوبا ، فى طريقنا الى سفلية
وتارجو فلوريو . وسنقطع المسافة على مراحل هينة .

الفصل الحادى عشر

فى سفلية ، كان الربيع فى أوج ازدهاره . وكان
طريق تارجو فلوريو ، بأيماله السبعة والستين ،
بمتحنياته التى تبلغ الألف والتصف تقريبا . غير مصرح
بالمزور فيه عدة ساعات يوميا . لكى يتاح للمشتركين فى
السباق ممارسة التدريب على القيادة فيه ، والتعرف على
مسالكه .

وكان الفريد توريانى ، هو الشائد المرافق لكليلر
فايت . وهو ابطنالى يبلغ الرابعة والعشرين من عمره .
وكانا يمشيان نهارهما فى هذا الطريق ، ويعودان فى
المساء وقد ذال منهما التعب ، والجوع والظما .

وكان كليلر فايت لا يريد ليليان أن تشهد التدريب ، كما
تفعل غيرها من الزوجات والصدىقات . ورأى أن يقدمها
الى صديق يمتلك بيتا يطل على البحر ، يمكنها أن تقضى
به ساعات يومها . وهذا الصديق يقالى . هو خير من
يعهد بها اليه .

وكانت ليليان ، تقضى أيامها ، بين الشاطئ وحديقة
الفيلا ، التى تتناثر فيها تماثيل من الرخام فى كل ركن

منها . ولم تشعر ليليان برغبة في متابعة التدريب ، وإن كانت تحب سماع هدير المحركات ، وهي تنفذ خلال أشجار البرتقال ، فيتألف من حفيفها ، ومن ذاك الهدير ، ومن صوت تلاطم الأمواج ، ميمفونية رائعة . وكان يخيل إليها أن هذا اللحن المؤتلف ، هو حديث كبير فايت يهمس به في أذنيها . وكان كبير فايت دائما معها حيث تكون . كان معها على الشاطئ ، وفي الحديقة ، وبين خيالها يظالمها وجهه من خلال ما تقرأ .

وفي المساء ، يقبل كبير فايت ، ويسمع هدير محرك سيارته عن بعد ، وتسمع من ليفاللي أنه لا يحب الأصوات الصاخبة التي تعيد الي ذهنه ضوضاء قاذفات القنابل إبان الحرب . وتنعم ليليان بتلك الساعات الهائلة التي تنضيها مع الرجل الذي شاء القدر أن يضعه في طريقها ، ويخذل كبير فايت الي الراحة بعد عشاء النهار .

ويقبل السباق ، أقام ليفاللي مأدبة دعا إليها الكثيرين ، وكان الملقب دائما في تلك الليلة التي تنلأ سماؤها بوميض النجوم ، وتعكس مياه البحر الهادي قرص القمر الصاعد بين ثنانيا الأفق . وكانت ليليان مأخوذة نشوى بكل ما حولها ، وكانت تجد فيها محيط بها ، كلما كانت تنوق اليه وتصبو ، طوال تلك السنين التي قضتها بين الجبال .

وكان كل من كبير فايت وليفاللي جالسين بالشرقة ، يبنان الرتمس ، حينما قال الثاني للأول :

« إن الإنسان إما أن يكون بين المشاهدين أو بين المشاركين في الإداء . ومن وجهة نظري ، أفضل أن أكون من المشاهدين . إن من يحاول أن يكون من الفريقين في وقت واحد لا يمكن أن يفتن أبدا من العملين . »

وكانت ليليان تراقص الأمير فيولا ، واستطرد ليفاللي قائلا : « إنها الذهب المتوقد ، تأمل كيف ترقص ! وتأمل غيرها من الراقصات ! إن رشاققتها وسحرها وأناقته تيز الجميع . كيف المقتبت بها ؟ »

— في لحظة مواتية من لحظات الزمان .

— إن مثل هذه الفرص لا تسنح دائما .

وكانت ليليان تراقص فيولا حينما ونورباتي حينما آخر . وكانت الأسمية تفيض سحرا ، وبهاء وحياة . ولم تكن لتسمع غير صوت الموسيقى ، وترجع الأقدام الزاحفة تتسق مع النغم . وهذا ما كانت تحلم به ليليان في ليالي وحدتها بين الجبال ، وهي تستمع الي الموسيقى المنبعثة من الراديو بجوار فراشها . ورات أن الموت أبعد ما يكون عنها في مثل هذه الليلة التي تفيض حياة وجمالا . وكانت هذه الخواطر وغيرها تتردد في ذهن ليليان وهي تنتقل من ذراع راقص الي آخر .

وسألها فيولا عندما رأها تبتسم :

— ترى ماذا يجول في خاطرك ؟

— إن الخواطر أو بعضها ، غالبا ما تكون سرا من الأمرار .

وكانت تخدو حينئذ بالقرب من كبير فايت الذي رآته يتطلع إليها مبتسما . ودار بخلدوها : أنه شديد التعلق بي ، وأنا أحبه لأنه لا يسألني عن شيء . ترى متى سيبدأ في توجيه الأسئلة الي ؟ أرجو ألا يأتي هذا اليوم . فليس لدينا من الوقت ما يتسع لشيء من هذا القبيل .

وقالت إحدى النساء من الجالسات في ركن الإمبات : « تأملن فيولا ، يبدو أنه يعتقد أنه لا توجد فتاة في هذا الحقل خلاف هذه الإحبية . »

وتردف سيدة أخرى غائلة : « هذا بدبهي . لنراقص
أحدى فتياتنا ، لمرض عليه أشقاؤها الزواج منها ،
ولرأوا في ملازمته لها أنه أصبح خطيبها .
- عن أين قدمت ؟ انها ليست ابصاحه .
- ان مثلها ممن يصرفن أمثال فيولا عن فتياتنا .
وبعد ان فرغت ليليان من مرقصة فيولا تأبطت ذراع
تورياني في طريقها الى حيث كان يجلس كبير غايت .
- لماذا لا تراقصني ؟
- انني معك في كل خطوة . دون ان انهض من
مقعدي .

وشحك تورياني مغيبا ،

- انه لا يحب الرقص ولا يجيده .

ويؤمن كبير غايت على هذا قائلا :

- هذا صحيح . انني راقص فاشل . كان يجب ان

تثبتي هذا . ليلة راقصتك في فندق بولاس .

- لقد انسيت امر هذا التاريخ البعيد .

وعندت ادراجها الى حاية الرقص في رفقة تورياني .

وعاد ليفالي التي متبعة خطواتها برددا : « انها قطع من

الذهب ، أو قل خنجرا حاد الأطراف . ان لجمال المرأة

صدى عكسي في نفسي . . لماذا تفسر ذلك ؟!

- لاننا ندرك أنه سيمضي ويولئ مع الايام ، وتود لو

قدر له البوام .

وجلس كل من الرجلين يشرب كأسه في سكون

وصبت : وراحا يتطلعان الى ليليان التي كانت تراقص

توريان ، وتبتسم لكبير غايت كلما اقتربت منه .

الفصل الثاني عشر

صاح كبير غايت ، يستفسر عن وضعه في السباق ،

عندما توقف قليلا ، وقال له تورياني :

- السابع . كيف وجدت الطريق ؟

- شاق . هل رأيت ليليان ؟

- أجل . انها جالسة في المنصة .

وقدم تورياني قليلا من عصير الليمون الى كبير غايت ،

واقبل مدير السباق ابصدر الامر بمواصلة السير ويقول

لكبير غايت :

« ان ديفال أمامك . عليك أن تلحق به وتتقدمه . لسنا

نمضي أكثر من هذا اثنا في المقدمة . هيا ، الى الاسام !»

واندفع كبير بسيارته . ورأى عن بعد ، عند الاقتراب ،

العبارة الذي تشبه سيارة ديفال وراح يطوى الطريق

المنعرج ، سنجحاته الخطرة ، في مهارة القائد المقدم

المضحك ، الى أن لحق أخيرا بسيارة ديفال ، الذي تعمد الأ

يقسح لكبير غايت الطريق ليتقدمه . وأخيرا انتهى كبير

غايت فرصة أحد المنحنيات الخطيرة ، ليمرقي كالمسهم

بجوار سيارة ديفال ، الذي فوجيء بهذه الحركة الجريئة

التي لم تكن في حسبانته .

واندفع كثير فايت في طريقه، متحديا كل عقبة، غير
عليه، بصنحياته التي تكاد أن تكون قائمة الزاوية، وقد
أنتى كل شيء، اللهم الا الفوز في هذا السباق.

وكان أن بلغ من سرعته، تلك المرحلة التي يفقد فيها
السايق السيطرة على سيارته، ووجد نفسه أمام
منحن، ينحرف بعيدا احتشد عنده جمع من الناس،
وحاول بقدر ما في وسعه من حذق القائد أن ينحرف
منهم، وكانت النتيجة أن استدارت به السيارة في عطف،
ثم اندفعت الى الجانب الآخر من الطريق، لتنقذ في
مجموعة من الأشجار والأحجار، ويفجر اطارها،
وتتوقف عن السير.

وعاد الجمع الذي كان قد تفرق خوفا، وقد تصايح
أمراده وشككوا لبروا ما أنتهى إليه أمر المتسابق
وسيارته، وكان كل ما يعنى كليز فايت في هذه اللحظة،
ألا يضع أحد منهم يده على سيارته، والأبعد له يد
المساعدة، لأن هذا من المحظورات بناء على قوانين
السباق، وراح يصرخهم عنه صائحا: «ابتعدوا!
ابتعدوا!»

وعلى الرغم مما كان يشعر به من الألم، وعلى الرغم
من اليأس المثبثة من اتفه، فقد جاهد حتى استقام واقفا
أمام سيارته، ليحول بينهم وبين الاقتراب منها:

ويوقف كل في مكانه، وتبينوا أن حالته ليست
بالخطيرة، وأسرع يستبدل الاطار المتفجر، وهو يسب
ويلعن، ويرأى أن في وسعه أن يستأنف القيادة بذراعه
اليمنى الذي لم يصب برشوش، وأن عليه أن يواصل
السير الى حيث يقف تورزياني في انتظاره ليحل محله.
وصاح في الجمع المحتشد ليقسح الطريق:

وعاد كليز فايت الى مقعد القيادة، واستدار بسيارته
على مهل، ومركت بجواره أكثر من سيارة، وكان كل
قائد منهم يحييه برفع ذراعه، وكان لا يفتأ يلوم نفسه على
استهتاره وعدم تبصره.



وكانت ليليان جالسة في منصة النهاية، وكانت تحاول
السيطرة على أعصابها مستميدة هدوءها وعدم هبالاتها
بشيء مما كان من أمره، غير أن هذا كان من العسير
عليها، أمام ما يحيط بها من ضوضاء وحركة دائرة،
وراحت تتابع السيارات المندفعة، وتحاول الاستماع الى
ما يعلنه المذيع من أرقام وأعداد، وبدأت تالف هذه
الجلبة، وتستعيد القدرة على التفكير والتدبير، ودار
بخلدها مدى ما تتعرض له حياة هؤلاء المتسابقين من
مخاطر، أن الحياة ليست بالشيء الهين الذي يلقى به
جانبا هكذا بكل استهتار، أن الشجاعة والاقدام شيء
وعدم الخوف والاستهتار شيء آخر، أن الشجاعة ادراك
للخطر، أما عدم الخوف فهو مجرد جهل به.

وسمعت صوتا بجوارها يقول: «كليز فايت أين
هو؟» فاصاحت السبع، «تري ماذا حدث له؟» كان
يجب أن يمر أماما منذ فترة.

واستبد القلق بالجلهور المحتشد، ورات ليليان
تورزياني يتنزع اليها، ويومئ لها بأن تهدأ وبأن شيئا لم
يحدث، وبدلا من أن يشيع هذا الطمأنينة في نفسها،
أشاع القلق والجزع، وينادى الى ذهنتها، أنه
قد ألم به مكروه، وأنه تعرض لحادث خطير، وجلست
ساكنة لا تتحرك، وخيل اليها أن الزمن لا يتحرك.

وان الدقائق أصبحت ساعات ، وأمسها الانتظار ،
 وشعرت بان صدرها يزرع تحت عبء ثقل ، وأخيرا
 طرقت سماعها صوت المنيع بطن : « لقد تعرضت سيارتي
 كليز غايت ، رقم ١٢ لحادث عند احد المنحنيات ولم
 تصلنا انباء تفصيلية بعد . »

وتطلعت نينيان فيما حولها . ان كل شيء كما
 هو - السماء يزرقتها وصفاتها ، وجو الربيع بدفته ،
 والناس ينهونهم وامتصاصهم - غير ان ثمة في مكان ما
 بقعة لا لون ولا جلاء لها ، لا يكف فيها كليز غايت عن
 الصراع ، لم لعله قد توقف عنه . وتملك منها خاطر
 الموت الخفيف ، وكادت أنفاسها ان تتوقف انشفاقا ورهبة ،
 وألفت نفسها في لحظة من لحظات السكون الشامل :

سكون العدم . وسمعت صوت المنيع يستطرد قائلا : « ان
 كليز غايت بخير . اذلم تكن اصابته بالغة ، وقد تمكن من
 مواصلة السباق بسيارته . انه يسير في المؤخرة . »
 وتاملت ليليان وجود القرم المنتظرين - ورات في
 ملامحها خفيضا من مختلف المشاعر ، ما بين ممجبة ،

وبين مسداه ، وبين من سري عنه ، ان كليز غايت لم
 يبأس ، ولم يشك عن عزيمته شيء . . انه يواصل السباق
 ويستأنف القيادة ثانية ، على الرغم مما تعرض له ،
 وشعرت ليليان بهرجل الغضب يسري في جسدها .
 وأسدل بينها وبين هؤلاء القوم اللاهين مستار من النغص
 والكرهية ، كرهت هؤلاء الذين يحدون منعه في مشاهدة
 السباق حتى الموت وكرهت كليز غايت الذي لا يجد سوى
 لعبة الموت عملا يرتق عنه . ولاول مرة منذ مغادرتها
 للمسحاة ، يدور بخاطرها طيف فولكون ، ثم وضع نظرها
 على كليز غايت قادما بسيارته ، وقد تخضب وجهه

بالدم ، ورائه وهو يتفزع نفسه ببطء وصموية من
 سيارته .



وقام الميكانيكيون بفحص السيارة ، وباستبدال سائر
 اطاراتها ، ووقف كليز غايت يقول لتورياني :

— ثولا هذا الاطار اللعين . . ان السيارة بخير .
 وصاح المدير ياخذ تورياني باحتلال مقعد القيادة
 فيها . وقرر تورياني اليها ، وسرعان ما انطلق بها .
 واستفسر المدير من كليز غايت عما اذا كان يفرأه كسر ،
 فاجابه بلثني . واتبل الطبيب الذي قال له بعد
 فحصه ان تستطيع ان توصل هذا السباق . «

وقام الطبيب بنضيد جراحه ، وتثيت ذراعها اليسرى
 بالضمادات والأربطة اللاصقة . وبعد ان اصأن المدير
 على حالته ، استفسر منه عما حدث ، ووقف يستمع
 اليه وهو يروي له كيف نجا من الموت بأعجوبة .

واستدار المدير يتابع السباق ، ويرجو لتورياني
 التفوق في تعويض مافات . وساله كليز غايت عن لم
 يزل داخل السباق من فريقهم ، فعرف منه انه ويبر وأنه
 في المكان الخامس .

ومرق تورياني كالسهم : وهو يلوح بيده ، ثم تطويه
 بالمنحنيات . وتجدد الامل في نفس المدير الذي كاد ان
 يسجد داعيا مبتهلا . وكان تورياني في كل دورة ،
 يكتسب مسافة جديدة ، حتى اصبح يحتل المكان الرابع ،
 بعد ويبر الذي اصبح في المكان الثالث . غير انه حدث في
 الدورة قبل الاخيرة . ان توقفت السيارة بتورياني ، الذي
 اسند رأسه الى عجلة القيادة فالتذ الوعي .

وراح المدير يرغى ويزيد منسائلا عما حدث :

« ألا تستطيع مواصلة السير في ماذا حدث ؟ ارفعوه من السيارة . كلير فايت ارياه ارياه ! الا يمكنك ان تحل بحله ؟ ان السيارة بخير .. »

وسرعان ما احتل كلير فايت مقعد القيادة ، بين ابتهالات المدير وصلواته ، وأعلن المنيع ان كلير فايت يعود الى السياق ، بدلا من تورياني .

وأبصرت ليليان السيارة تهرق امامها كالثقوبهم . واستطاعت ان ترى كتف كلير فايت المضد ، وردت قائلة :

« هذا الاحمق .. هذا الطفل الذي لم يشب عن الطوق .. ليس لي هذا العمل شيء من الشجاعة . انه مقضى عليه لا محالة . ان هؤلاء الاصحاء لا يعرفون شيئا عن الموت .. هذا الموت الذي كانت تلازما فكرته بين الجيل .. »

واحدت اليها يد تدس بين اصابعها بطلاقة دعوة . قالقت بها جانبيا ونهضت تزعم الرحيل . وكانت محمات نظار الجميع . وهبطت الدرج في طريقها الى مغادرة المنصة . وقد استبد بها السأم .

واستغربت مع ما يجول بذهنها من خواطر . وتكررت في ذات نفسها مليا . انها يجب الا توزع اهتمامها بين اثنتي عشرة تاقورة . انها تاقورة واحدة التي يجب ان توليها اهتمامها . ان عودة مياة التاقورة الى الابدان من جديد رمز حي لا يجب ان تكون عليه حياتها الجديدة . انها يجب ان تبعد عن حياتها كل ما يعكر عليها صفوها .

ومضت قدما ، وكئن عبئا ثقيلًا قد سقط بعيدا عن عاتقها . وخطت بعيدا عن المنصة التي تعد نقطة تحول فاصلة في حياتها الجديدة . وسمعت وهي تتباعد ،

تصفيق الجماهير للسيارات المتقدمة الى الخط النهائي . وتوقفت ليليان عن متابعة سيرها ، التي ان شاهدت سيارة كلير فايت . ثم استأنفت مسيرها بخطوات متندة ثابتة .



كان كلير فايت قد ازال ما يواجهه من آثار الهماء ، وان كانت شفتاه لم تزل تدهيان . ولحق بها قائلا :
— لا أستطيع تقبيلك . هل كنت قلقة من اجلي ؟
— كلا . غير انه لا ينبغي لك ان تعود لقيادة السيارات . هل بلغ بي سوء القيادة هذا الحد ؟

وابرى تورياني بعقبا : « لقد كان عظيما . »
وحدثه ليليان بنظرة قاسية . واسرع كلير فايت بنقذ الموقف قائلا :

— لقد انتهى كل شيء . ليليان ارجو الافكركي في هذا الامر شئبة . ان ما حدث لم يكن بالقاعد ما بدا به من خطورة .
وعادت تردد قولها :

— ينبغي لك الا تعود لقيادة سيارات السياق .
— لك ما تريد . وسألقى العقد المبرم فدا هل يرضيك هذا ؟

وضحك تورياني قائلا : « وبعد غد نرتق ما فتق منه .. »
واقبل المدير يسأل كلير فايت : « هل مستحضر الليلة ؟ »

واوما كلير فايت براسه ايجابيا . ثم اتجه الى ليليان التي رآها متجهة الوجه قائلا :

— ماذا دهاك ؟ الازلت مصرة على عدم عودتي للقيادة ؟

— أجل ؟

— ولماذا ؟

— لست أدري كيف أبدى لك الأسباب . إنه شعوري الذي يبلى على هذا . لقد شعرت بالنفور مما رأيت . وبهما يكن من أمر ، فانت وشبانك . ربما لم يكن من حقي أن أتحدث اليك صراحة بما قلت ؟

— أن هذا من حقلك دائما وأبدا .

فضحكت قاتلة : كبير غابيت ، أنتي أحبك . ترى هل تشعر كل النساء بمثل ما شعرت به في أعقاب السباق ؟

— لست أدري . هل هذا التوب من متجر بالمشياجا ؟

— لست أدري أنا الأخرى .

وتحسرت وجهه وكنفه قائلا : أن وجهي سيبتلع الليلة . هل تذهب في طريقنا الي قبلا ليفاللي ؟

— أن تذهب للقاء مديره ؟

— كلا . أنه سيقوم حنلا بالفتنق لمناسبة ما أحرز من فوز .

— الإ تحب الاحتفال بالنصر ؟

— أن كل نصر يويط بعدد ما قدر لنا من انتصارات .

وتأملت ليليان مليا . فردد على سماعها ما سبق أن جهر به ثم أردف قائلا :

— أنتي في أمس الحاجة الي بعض المكدمات هذه الليلة ، والى الاضطجاع لاستمع اليك وأنت ثقراين فحلا من كتاب (في نقد العقل المحصن) .

— سمعا وطاعة . وبعد ذلك أريد أن نسافر الي قينسيا .

— ولماذا ؟

— لأنها لا يوجد بها جبال ولا سيارات .

الفصل الثالث عشر

امتدت أقامتهما في صقلية أسبوعين آخرين . وشفى كبير غابت من رضوضه وضابت لهما الإقامة في قبلا ليفاللي المطلة على البحر . وكان لدى كبير غابت مساحة من الوقت قبل السباق التالي .

ومساءها ذات يوم :

— هل تؤثرين البقاء هنا ؟ أم تحبين العودة ؟

— الي أين ؟

— الي باريس . أو الي أي مكان آخر . إن الطقس هنا

بدا يعيل للحرارة .

— وهل أنتهي فصل الربيع ؟

— أجل . في هذه البلاد . وفي وسعنا أن نتجه شمالا

حيث يبدأ ربيع آخر . في روما مثلا .

— وحتى ينتهي الربيع هناك ؟

— ستواصل متابعته ، إذا ما راق لك هذا فستاتف

السير شمالا الي لومباردي والبحيرات . ومن بعد تنبمه

الي سويسرا . ثم الي ضفاف الراين ، الي أن ينتهي بنا

السير الي حقول هولندا المزدهرة على مشارف البحر .

وكاننا بهذا نوقف عجلة الزمن عن الدوران .

— هل سبق لك أن غلعت شبيبا من هذا القبيل ؟

— أجل . فيما قبل الحرب .

— في رفقة امرأة ؟

— أجل ، ولكن الوضع كان مختلفا .

— دائما هكذا . لا تخف ، فنتت بالفجورة .

— لكم وديت أن تكوفي كذلك .

— وهل أثار من الماضي . أم هل ترائي من المغفلة

بحيث كنت أرجو أن تقول لي أنني المرأة الأولى في

حياتك .

— هل نرحل ؟

— ليس بعد . أنني لا أريد أن أخدع نفسي بأن الزمن لا

يمضي بنا تديما ، وأنه قد توقف عن السير . أن هذا كان

شأنه معي طوال أيام الشتاء التي لا تنتهي . حينما كنت

بقية في المصحة . وكنت أروح وأغدو زهينة حبي

بحدراته الجبلية المساء .

— والان ؟

— أنني سعيدة بدائرتي هذه كالراقص في حلبة

الرقص .

وأودعت غميه قبلة ، فأكبدا لمشاعرها .

ثم تملك منها الضجر ، واستبدت بها الرغبة في

الرحيل . وصارت أيام صقلية في اعتبارها شهورا .

ولقد أمضتها تلك الليالي التي كانت تقضيها وحيدة . إذ

كانت حريصة على ألا يقضي كليز فايت الليل معها بطوله .

إنها لم تكن تريد أن يسمح سعالها ، الذي كثيرا ما ينتابها

ليلا . وأن كان كليز فايت لم يترك السبب الحقيقي . وعزا

هذا إلى أنه نزوة من نزواتها .

واستقلت الطائرة إلى روما ، لتستقل منها أخرى إلى

باريس . أما كليز فايت ، فكان سينتقل بها في باريس .

ولمات بجولة بين خرائب روما وأثارها . وفي اليوم

التالي ، جلست إلى إحدى الموائد الخارجية بمقهى بطريق

فينيتو . وكان من المفروض أن تستقل طائرة المساء إلى

باريس ، ولكنها ترددت . فقد وجدت أنها أسيرة لحالة

نفسية من الانقباض الذي لا يمر له . وكان أن قضت

ليلتها في الفندق ، ولم تنوجه إلى مكتب الطيران قبل

صباح اليوم التالي . وبين اللوحات السياحية

المعروضة بالمكتب شاهدت لوحة لفينسيا . وجرى في

خاطرها ، ما سبق أن تحدثت به إلى كليز فايت عن هذا

البلد . فما كان منها إلا أن طلبت استبدال فذكرتها بأخرى

إلى فينسيا . وبدا لها أنها يجب أن تزور فينسيا قبل أن

تذهب إلى باريس ، لأنها تريد أن تجلو أمرا ما في

ذهنها . أنها لم تكن تعرف كنهه على وجه التحديد .

ولكنها كانت تشعر بأنه من المتعين القيام بهذا قبل لقائها

ثانية بكليز فايت . وعلقت بأن الطائرة ستغادر المطار بعد

ساعتين .

وعادت إلى الفندق تعد حثائبها . وكان المفروض

أن يكون كليز فايت قد وصل إلى باريس ، ولكنها لم ترغب

في الاتصال به لتخبره بأنها ستتخلف عن الحضور . فلقد

كانت تريد أن تكون في عزلة عن تعرف . وأن تفرد

بنفسها قبل أن يلتقيا ثانية . يلتقيان ثانية ؟ أنها لتتسمر

بنفسها مسبقا أن شعرت به وهي تغادر مسرح السباق ،

بتلك الرغبة العارمة في أن تنطلق كالطير بدون أقدام .

يفضل طائرا إلى أن يموت أحياء ! أن هذا هو السؤال الذي

يتردد في ذهنها : ابتغى لها أن تهجر كليز فايت ، وتقطع

كل صلة بينهما ، أم لا ؟

هبطت بها الطائرة في ساعة متأخرة من بعد ظهر اليوم . وأغرقت لليلتين غرفة فندق دانييلي ، وحينما كانت تستقل المصعد على طريقها الى غرفتها ، أحاطها ، العميل علما بان هذا الفندق شهد قسمة غرام جورج مساند المتقدمة في السن بالشاب الفريد ذي موسيه . وأنبرت ليلتان تسأل الرجل : وماذا حدث ؟ ترى مع من خانتها ؟

— لم يحدث شيء من هذا القبيل . أن السيدة صاند هي التي خانته مع طبيب ايطللي . لقد كان السيد موسيه شاعرا .

وتبيلت ليلتان وميض السخرية في عيني الرجل ، الذي استطرد قائلا :

— وهو يفتح باب المصعد لقد هجرته على غفلة منه . هجرت السيد موسيه فجأة .

وكان يحدث الرجل انطباعاته في نفس ليليان ، ونلت في سكوت الى غرفتها . واتجهت الى نافذتها تطالع منها ، وتلا عينيها بمنظر اللناة الجميل ، وقد انعكست على مياحه أضواء ليل البندقية . وراحت تشم النظر في كل ما يحيط بها من سحر . وكانت سعيدة لأنها في بلد لا يعرفها فيه أحد . ولا يعرف أحد أنها حظت رحالها به .



كان اختلاج مشاعرها بهذا الخطر مضاعفا ، وهي تهشى على غير هدى في الميدان المتريب من الفندق . وانتهت بها خطواتها أخيرا ، الى مطعم صغير ، تزين جدرانها لوحات القرن الثامن عشر . وأمرت باحضار بعض الضمام والشراب الجيد . وكانت سعيدة بكل ما

حولها ، وبوحدتها . وسألت الساقى :

— أين يمكن أن أمضي هذا المساء ؟

— هذا المساء ؟ هل تحبين المسرح ؟

— هل يمكن أن أجد لي مقعدا ؟

— أجل ، فيما اعتقد .

— كيف أصل الى المسرح ؟

— يمكنك أن تستقلى الجندول . ويمكن أن تقطعي

المسافة مسرا على الأقدام .

واستقلت ليليان الجندول . ووصلت في الوقت المناسب

الى المسرح وكانت المسرحية من مسرحيات القرن

الثامن عشر الهزلية . وكانت تتابع المسرحية ، على الرغم

من عدم المامها بالكثير من اللغة الايطالية . وبدأت تشعر

بها كأن يستحوذ عليها من ضيق وانقباض في روما . أو

نتيجة للوحدة ؟ أو الشعور بالضياع ؟

وفاجأها إحدى ازمانها الصدرية ، وحاولت ان تتغلب

عليها دون جدوى . ورفعت منديلها الى فمها لتتلقى به

الدم المنبثق . ورأت أنه يتعين عليها أن تعامر مقعدها ،

ولكنها لم تكن واثقة من استطاعتها ذلك . والتفتت الى

السيدة الجالسة عن يسارها ، محاولة أن تسألها المعونة

باللغة الايطالية . وأخيرا قالت لها السيدة

بالانجليزية : « هل تشعرين بوعة ؟ » .

فأومات ليليان ، برأسها اجابا . ومذبلها قوتى

شفتيها . محاولة أن تقبها بإشارة من يدها أنها تريد

مغادرة المسرح . ورجت السيدة الشفراء زميلها ، أن

يخف لاصطحاب ليليان الى الخارج . الى الهواء الطلق

— ظلنا منها أن ليليان قد اسرقت في الشراب .

وتهض الرجل يعاون ليليان على مغادرة مقعدها .

فقلت له هامة الى باب الخروج فقط .
 وعندما خرجا الى النور ، وقف الرجل يحلق في
 ليليان ، التي وجدها شاحبة الوجه في ثوبها الابيض ،
 وقد ابتقى اندم من بين اسنمها يتسلط على ثوبها .
 فقال لها وقد اسيدت الدهشة به :
 — « وتلك مريضة حقاً . هل اصحبك الى احد
 المستشفيات ؟ » .

— كلا . بل الى فندق دانيللي . سيارة أرجوك .
 — سيدتي ، لا يوجد بفنيسيا سيارات . لا يوجد سوى
 الجندول . يجب ان نذهب الى مستشفى .
 — كلا . كلا . الى الفندق أرجوك ان تودعني احد
 القوارب وتعود من حيث اتيت .
 — في وسع حاري ان تنتظر . انها لا تفهم كلمة من اللغة
 الإيطالية ، علاوة على ان المسرحية مملة .
 واسرع يستقل معها قارب الجندول الذي كان قد اقترب
 منها ، قائلاً : « سنصل الى الفندق بعد لحظة . ام هل
 تفضلين ان تستقل قاربا بخاريا ؟ » .
 — كلا . فمن الخير لي الا اتحرك كثيراً . . .

وكانت مستلقية فوق المقاعد الخلفية . وراحت تتطلع
 الى الميناء القائمة على ضفاف القناة والتي نوافذها
 المنضبة ، والتي تلك الرقعة الصغيرة من السماء ، وهي
 تسمع الى لحن « سالتا لوتشيا » بشده صاحب الصوت
 الجيهر لفرق من السياح . وكان يختلط بكل هذا ، خريف
 المياه المتلاطمة بجدار الجندول . ونساءلت فيما بينها
 وبين نفسيها : ترى هل هذا هو شو الاجل ؟ هل حالت
 ساعتى ؟
 وعاونها الرجل في الخروج من الجندول . ثم مد اليها

ذراعه لتستند عليه الى بهو الفندق . وكانت قد همست
 للحارس عند تخطيها باب الفندق ، ان ياتيها بطبيب . ولم
 يكن جالساً بالبهو سوى جماعة من الايريكين ، راحوا
 يحلقون النظر فيها . وراى بينهم وجهاً مالوماً لديها ، وان
 كانت لم تستطيع ان تتبين من عساه ان يكون . وقيل لها
 ماريو ، وهو اسم الرجل الذي نادته به سيده المسرح
 المشقراء وهما في المصعد : « أرجوك ان تلمزي الهدوء ،
 ريشما يحضر الطبيب » .



ولم تغادر فراشها اسبوعاً . وأمر الطبيب بضرورة
 فتح نوافذ غرفتها ليل نهار . فقد كان الطقس مائلاً الى
 الدفء . واثرت الا تتصل بكثير نابت لتنبئه بمرضها ،
 لانها لم تكن تريد ان يعلم انها مريضة ، كبالله تكن تريد ان
 يراه جالساً الى جانب فراشها . ان مرضها شأن من
 شئونها الخاصة ، لا يجب ان يعنى غيرها . وكان الطبيب
 يعودها من آن لآخر ، وكذلك ماريو . وقد علمت من
 الطبيب ان النزيف لم يكن من النوع الحاد . اما ماريو ،
 فكان يحمل اليها باقات من الزمر ، ويجلس ليحدثها عن
 ظروف حياته القاسية التي تضطره لمعاشرة من هن اكبر
 منه سناً من النساء الثريات . وكاشفها بدخيلة نفسه
 قائلاً : « شبه تشابه بين خال كل منا . ان الموت هو رفيق
 ايامك التي تربتها تولى وتمضى . اما انا فرفيق هاته
 النسوة اللاتي تعضى ايامهن شيخوخة يرتعدن منها
 فرقا » .

وكانت ليليان تسمى في دهشة لما تسمع .

فقلت :

- ان الموت رفيقنا جميعا غير ان غالبية الناس لا يدركون ذلك . ترى ماذا اعددت للمستقبل ؟ لتعقزم الزواج من احدي نسائك المتقدبات في السن .
- كلا . اننى ادخر بعض النقود للمستقبل . لابدأ بها مشروعا . ربما كان مطعما صغيرا . ولى خطيبة فى بادوا تقن اعداد شتى الوان الطعام . هل تؤمين يوما مطعما ؟
ارجو ان يتاح لى ذلك .



كان هذا الوجه الذى رآته فى بهو الفندق ليلة مرضها . هو وجه الفيكونت دى بايستر . الذى تعرف عليها . وبدأ يبعث اليها ببطاقات من الزهور مجهولة المصدر . وبعد اسبوع ارفق بطاقته . واستفسر منها بعد ان اتصلت به تليفونيا . عن سبب وجودها بالفندق . فاجابه :

- لاننى احب الاقامة بالفنادق . ترى هل تحب ان انتقل الى احد المستشفيات ؟

- كلا . بكل تأكيد . ان المستشفيات اعدت لاجراء الجراحات فقط . واننى ابغض المستشفيات بقدرىغضك لها . ولكن منزلا تحيط به حديقة . كمفضلت فى باريس ؟
- لمن يكون من العسير الاعتماد الى مسكن من هذا القبيل ! ومهما يكن من امر . فلدى هنا منزل . . انه تحت امرك .

- انى لا احب ان يكون لى منزل استقر به . هل تدعوننى الى تناول الطعام بالخارج ؟
- وهل فى امكانك مقادرة عرفتك ؟

- ستحافظين بذلك .
وهبطت الى بهو الفندق . انها لترى ان نجاتها من الموت . بمثابة مولد جديد لها . وكانت تنقسم عند لقائها بدى بايستر . الذى قال لها :
- لعلك مسرورة من مخالفتك لامر الطبيب .
- دعنا من هذا . اين سقذهبى ؟
- الى التافرتا . . قلستقل هذا القارب .
وعضى الجنود بهما . ينساب فى هدوء يتسقى مع ما كان يجول فى خاطرها . وقالت ليليان :
- اننى لم اعرف من فينيسيا سوى ماشاهدته غيبابن نافذة غرفتى . ومن الساعات القليلة الى امسيتى الاولى بها .

- اننى ازور فينيسيا طوال ثلاثين عاما .

- اين يا ترى توجد التافرتا ؟

- بالقرب من المسرح .

- وهل بها شرفة ؟

- اجل . هل زرتها من قبل ؟

- شاهدتها عن كثب فقط . دون ان اكون من العملاء .

- انها مطعم ممتاز .

- اننى اشعر بالجوع فعلا .

ونام المدير شخصا على خدبتهما . وحمل اليهما اجود الوان الطعام واصتاف النبيذ . وبادرها دى بايستر بسؤاله :

- ما الذى اتى بك الى هنا ؟ .

احدى نراتى . ولكننى منقفل راجعة .

- الى باريس ؟

- الى باريس .

- حيث يوجد كبير فإيت ؟
- أتن غانت تعرف ذلك ؟ الى كبير فإيت ؟
- الا يمكن ان تتخلى عنه لفترة ما ؟
- فضحكت قائلة : " اراك شديد الالحاح . هل نتقدم الى عرضي ؟
- اذا وافقت . وهو عرض بدون شروط .
- أن هذه الصورة من عرضك هي غي نظري تكرر
- غيرها . أن حياتي لا تتسع للتكرار .
- الا تشعرين بأنه ينقص حياتك ، المخاطرة ، أو
- المفاجأة ، أو اي شيء جديد عليك ؟
- كان هذا هو شعوري من قبل . غير أنني لم اعد المس
- منه شيئاً .

- منذ متى ؟

- منذ بضعة ايام .

- ولماذا ؟ واين ؟

- في نافذة فرقتي بالفتنق ، اجتاحني شعور جديد
- بن الحياة تواتر بتسوية . لا فرق في ذلك بين مدينة
- وأخرى ولا بين رجل وآخر . لقد أدركت ان اوهامي
- كانت باطل الباطل .

- متى سنسافر من ؟ غدا ؟

- أجل .

- اسقى على ما صرت اليه .

ولكنه لم يذهب . . كان يشعر بأنه قد غاض به . كما
كان يشعر بأنه لا يفتقد ليليان فحسب ، بل يفقد شيئاً في
ذات نفسه . وتبادر الى ذهنه انه تأثر الى حد ما بمنهج
تفكيرها في الحياة ، بدون ان يشعر . منهج الحياة بدون
غدا . ولكن هذا المنهج ليس بالنسليم . فتمة غد ، على
الاقبل بالنسبة له .

لقد تركتني مع الغضب ، وخلفت لي الشجن . لقد
أعدتني عشرين عاماً الى الوراء ، ولكنني أصبحت أكثر
ترفاً . لقد كنت أجد في صحبتي لامرأة من طراز ليديا
منعمة . أما الآن فقد أصبحت أشعر بما يشعر به
شارب النبيذ الرديء . . ينهغي لي أن أتزوج من ليليان .
هذا ما كانت تمنيه ليديا . وهي على حق في ذلك . أنه لم
يعد يتخيل لنفسه حياة بدون ليليان .

واقف عن مواصلة البحث عنها ، فان هي عادت الى
باريس ، فاما أن تسعى اليه ، وأما الا تحاول ذلك . ولم
يطرأ على باله انها عادت فعلاً الى فندق بيسون . وقد
أقامت به عدة ايام ، الى أن تستعيد صحتها . وبعد أن
استقر بها المقام ، وقضت فترة الاستجمام ، فكرت في
الاتصال بعمها جاستون ، الذي دهمس لمرأها قائلاً :

- واين تقيعين الآن ؟

- لقد عدت الى فندق بيسون . أنه لا يكلفني كثيراً .
- أنك تعتقد ان النقود تتكاثر بين عشية وضحاها .
تئن انتهجت في حياتك أسلوبك الاول ، فلن يتبقى لك
الكثير منها . ان الناس يجب ان يعملوا في حياتهم على
ما يفعله رأس المال من فوائد فقط . في وسعي أن أقر لك
غرفة في مسكني .
وكانت تعرف أنها مهما انققت ، فلن تطول بها الحياة

يتسامع بين الغيرة والشقاء .

حقا ؟

— أجل . أنني أعرف . لها أنت غلا . إلا تدعوني
لتتناول طعام العشاء ؟

واصطحبها كثير فابت إلى أحد المطاعم . وانشاء
الأساء . نجعت مشاعره بالنسبة ليليان ، فيما يشعر به
الرجل المطلوع قبل أن يتمكن من توجيه الطعنة . وتست
ليديا الموضوع الحساس من مشاعره بقولها له أخيرا :
— ينبغي لك أن تفكر في الزواج .
— ممن ؟

— لست أعرف . غير أنني أرى أنه قد آن الأوان .
— منذ ؟

— لا أريد لك هذا . ومع ذلك ، فليست بالرجل الكفو
ماليا لي . ليكن زواجك من سيدة تربية . ثمة التكريرات
من هذا الطراز . أنك لن تستطيع أن تعمل في معاشك
على السباق . لقد تجاوزت سن الشباب .
— هذا هو ما أدركه تمام الادارك .

— لا تتنسى . هذا هو مصيرنا جميعا . وعلينا أن نعد
العدة للمستقبل قبل فوات الأوان .
— هل انتهيت إلى الرأي بمن أتزوج ؟
— ستبحث الأمر فيما بعد .

— ليديا ، فقد تعارفنا منذ أربع سنوات . وكانت هذه
المعرفة على اساس ان ايامنا لا يريد تحمل أية مسئولية !
— ولقد وجدنا ان هذا يناسب كلينا . ليس كذلك
يا كبير فابت ؟ ستكون في انتظارك الليلة .



الفصل الرابع عشر

بحث كثير فابت في باريس طويلا ، إلى ان انتهى به
بعثه إلى الرأي بأنها عادت أراجها إلى المصحة .
وانصل نيلقونيا بالمصحة مبين انه كان مخطئا في رأيه .
ثم عاد ليواصل بحثه عدا ، وانتهى به الأمر إلى انها قد
تعمدت هجرته . وكان من بين من لجأ إليهم في بحثه العم
جاستون الذي كان يجهل عنها كل شيء . وحاول تكبير
فابت أن يبعدها عن ذاكرته وينسى أمرها ، ولكن محاولته
هذه كانت أشبه بمن يحاول السير على الماء .

وبعد أسبوع من عودته . التقى مصاندة ليديا
موريللي التي سألته : هل تخطي عندك عصفورك ؟

— لم يسبق لك أن وجهت إلى سؤال إلا عن غيرها من
الأساء . لابد وأنها كانت غصنة في حلقك .
— هل هجرتك ؟

— هجرتني ! بالله من تعبير سخيف !

— إذن ، فقد وقعت في شباك الحب أخيرا ؟

— هل تشغرين بالغيرة ؟

— أنني أشعر بالغيرة ، ولكنك لست سعيدا . وثمة فرق

حتى يتضرب بعين تقودها . ورقعت عينيها الى عمها
تسأله :

- كم بلغت من عمرك ؟

- أو عودة الى مثل هذا السؤال ؟ انه سؤال لا يجب ان
يوجه لكبار السن . ان الأعمار بيد الله .

- ان بيده مصير كل شيء . وهو وحده القادر على
الاجابة على اسئلة الكثيرين . وبودي لو استطعت الى
ذلك سبيلا .

- ماذا ؟ ماذا تقولين ؟

- لاشيء .

وآثرت ليليان ان تطبق شفقتها . ان هذا الرجل
الطاعن في السن ، والذي تجاوز الثمانين باول في ان
يبتدبه العمر الى أكثر مما تبقى لها من أعوام . لقد اتاح
له طول العمر ان يعرف عن الحياة أكثر مما يعرف . وان
يكون أكثر صلة بربه ، عن طريق المعرفة والادراك .

ووجدت انها توجه اليه هذا السؤال :

- عمه ! اذا ما قدر لك ان تبدأ حياتك من جديد ، فهل

تنتهج فيها أسلوبا مختلفا ؟

- بكل تأكيد !

- أي سبيل كنت تسلك ؟

- ما كنت لاتمعرض لنتائج التضخم ، ولكنت اشتريت
من السندات الأمريكية .

فقاطعته بحركة من يدها ، قائلة في ضجر :

- كفاني هذا الابضاح .



وخرجت تمشي في الطريق المبتلة . فقد أعطرت السماء

بيتها كانت في زيارة عمها . ثم عادت الشمس لثغذ
بأشعتها من بين السحب المتناثرة كقطع من القطن
المنذوف . وتأمّنت السماء ، وعادت بخاظرها الى ما كان
بينها وبين عمها من حديث . انها ترى يد الله في كل ما
حولها من مظاهر الحياة . آه لو عرف الناس ذلك ، بدلا
من ان يدفنوا رؤوسهم في الرمال كالنعام . لقد ألهمت
الحياة الناس عن التفكير في مصيرهم المحتوم ، وفي
الحياة الأبدية وما عرفوا في حياتهم الا ان يعبدوا المال
والقوة . اما في المصحة ، فقد كان الامر مختلفا . ان كل
من كان بها عن التزلز ، يتجاهلون هذا المصير ، الذي
كان مائلا امامهم منول الشمس في كبد السماء .

ووصلت الى الفندق . وكانت غرفتها بالطابق الاول
اسوة بالسابقة . وارتقت الدرج على مهل . وفي غرفتها
جسدت بجوار النافذة ، وأسندت رأسها الى زجاجها
وكانت زجاجة النبيذ الى جانبها فوق المنضدة .
واسترخت في هدوء ، وحضت ما بينها وبين التفكير فيما
يعكر عليها صفو وحدتها ، في هذه اللحظات الهائلة
المختلطة من لحظات الحياة الصاخبة . وهكذا حدث ان
رأها كليلر غابت ، وهو فاقد الأمل في لغائها ، حينما عن نه
ان يمررفندق بيسون مرة أخرى . وصعد الدرج ، وركض
الى غرفتها يدفع الباب قائلا :

- ليليان ! بربك أين كنت ؟

وكانت قد رآته يعبر الطريق ، فلم تدهش لقدومه .

واجابته قائلة : « في فينيسيا » .

- ولماذا ؟

- لقد حدثت حينما كنا في صقلية برغبتي هذه . وقد

عادت الفكرة فاحتمرت في ذهني حينما كنت في روما .

- وأغلق الباب قائلا: « لماذا لم تتصلى بي تلقونيا ؟ هل أقمت هناك كثيرا ؟ »
- هل هو استجواب ؟
- لقد بحثت عنك في كل مكان . مع من كنت ؟ لقد افنتك كثيرا ! لقد دار بخلدى شتى الفكر والتكهنات .
- هل لك في كأس من النبيذ ؟
- ابتعدى عن النافذة ، حتى يتيسر لى أن أضحك بين ذراعى .
- هل أتيت مستقلا سيارتك ؟
- كلا . لقد تركتها بعيدان فاندوم .
- عيا ، فلتسرع بالعودة بها ، أريد أن أقوم بجولة في غابة بولونيا .
- عيا معا ، خشية أن أعود غلا أجدك في انتظارى ، وأعود لافتقدك ثانية .
- هل افنتنتى حقا ؟
- من حين لآخر . مع من كنت في قبليسيا ؟
- كنت بمفردى .
- لماذا لم تتصلى بي ؟
- ليس من دأبنا أن نفعل ذلك . هل سنذهب الى شاطئ البحر ثانية ؟
- أجل . الى مونت كارلو ، حيث يجرى سباق في الصيف .
- الا يمكن أن نذهب قبل ذلك ؟

- متى شئت ، اليوم ؟ غدا ؟
- كلا . فيما بعد أن أتاهتى لم تطل بقبليسيا .
- ولماذا ؟
- أصبت بنزلة برد .
- وبدا أنه لم يصدقها . وأخذها بين ذراعيه قائلا :
- متى سترحلين عنى ثانية ؟
- عيا بنا الى حيث توجد سيارتك .
- واحتضنها كغير فابت ، يشبهها قبلا .

- ولا أنا ، ولكنى اتوم احيانا باشياء لم تكن لتطرا لى
- على بل ، ومن هذا ، رغبى فى الزواج منك .
- لماذا تمعجل الامور ؟ كرهيتك الملحة فى الزواج وأن
- تصبح قاجر سيارات ؟
- كنتك ترين فى حشروعى كارثة محققة .
- واين ترمع افتتاح محرك ؟
- فى تولوز .

- متى سيكون ذلك على وجه التحديد ؟
- بعد بضعة اشهر . . فى الشتاء ، على الاكثر فى
- نهاية العام . اننى لم اعد فى سن تصلح لمزاولة مهنة
- السباق . وارى انه لايدلى من الاستقرار .
- لماذا يصير هؤلاء الرجال على تغيير حياتهم ؟
- لماذا يصرون على الالتقاء جتبا بالشىء الوحيد الذى
- كان له اثره فى نفس من يتعلقن بحبيهم ؟
- اننى لم احب كبير غايت هذا ، الا لانه كان على
- شاكلتى لا مستقبل له . واحيرا انترت بقول :
- لطالما تردد فى ذهنى ، التساؤل عما اذا كان ينبغي
- لمننا الاقدام على الزواج . ولم اجد من الاسبابها اقتنع
- به . وهذا طبعاً بعد استعراض وضعى وحالى .

- ليليان ، لماذا تصرين دائماً على مثل هذا النمط من
- التفكير ؟ لماذا بخرصين على عدم الارتباط بى ؟
- الا تدرك السبب ؟ لقد كان لقائنا صدفة - لماذا
- لاندع الامور تسير بيننا فى هذا الاطار ؟
- اننى اريد ان اربط حياتى بحياتك . ان الامر فى
- غاية البساطة ، اليس كذلك ؟
- كلا . انه ليس بهذه البساطة .
- فلنقل اننى اريد ان . .

الفصل الخامس عشر

- قالت ليليان ضاحكة ، « او قل انك تريد سجنى .»
- ولم يضحك كبير غايت ، بل قال لها جادا :
- « لست اريد سجنك . اننى اريد الزواج منك .»
- ولماذا ؟
- لكى لا تعودين الى الاختفاء دون ان اجدك نثرا .
- او تؤمن بان الزواج هو خير ضمان لذلك ؟
- هو خير رباط لاثنتين . ثم نك لتملكين الكثير ، ولا
- تريدين ان تسألينى .
- وهل لديك مزيد ؟
- سيكون لدى نصيبى من ممتلكات مقبلين . وما زال
- لدى الكثير .
- فلترجىء عرضك الى السنة القادمة .
- وقيم الانتظار ؟
- لئرى انه عرض غير ذى موضوع . ثم انك لا تقبل
- لك بنفقاتى . لقد قلت ان عقدك سينتهى هذه السنة .
- لقد عرضوا على توكيلا لمسابرات السباق .
- هذا ما لا استطيع تخيله .

— أن تستقر في حياتك ؟

— وهل في نكح ضير ؟ كما انتى أرى أن الزواج منك من دعائم هذا الاستقرار . هل فى هذا ما يضحك ؟

— بل ان فيه ما ييكى .

وكانت عيناها مغرورتين بالدموع . فتهض يأخذ بيدها بين يديه قائلاً :

— أليس كذلك ؟ أن هذا لا يجب أن يحدث بيننا .

— دع الامر بيننا على ما هو عليه . لا تفسد الامور .

— هل ترين ذلك ؟

وردت قبيما بينها وبين نفسها قولها :

— أجل . أنك ستفسد كل شيء . انك لن تستطيع أن

تبني سعادتك المنزلية فى تولوز فوق أجنحة فراش رقيقة هشة . ما أشد ما تسمى الانثى انسان ! كيف لايتسنى

له أن يتبين وجهة نظرى ؟

ولم تجد بدا من أن تقول له :

— كلى قابت ! او نسيت اننى مريضة ؟

— ان هذا من اقوى الدواعى المؤيدة لمرضى .

وآثرت الاتعقب بشيء . فبادرت تسأله :

— متى ستذهب الى الريفييرا ؟

— عندما تشائين .

— فلنعجل بهذا .

— أن لى حفلا بالريفييرا .

— حينما تعود الى فندقك . أبعث الى بحفائلى التى

سبق أن تركتها به قبل سفرى .

— سأتيك بها .

وجلست الى منضدة زينتها . فتأمل صورتها فى

المرآة . وتستعيد ما كان بينها وبين كلىر فايت من

حديث . يا لملك الرغبة فى التملك التى تستند بالرجال .

الزواج منها . والاستقرار فى تولوز !

وبدأت تصحك . . انها لم تكن تريد أن تتحدث عن

مرضها أن تنكره به . أن كلىر فايت قد أصبح فى نظرها

رجلا آخر . . انه لم يعد يعيش فى دنيا من المشايخ .

لقد أصبح رجلا له مستقبل . ثم بدأت تبكى فى هدوء

المستسلم .



وعاد كلىر فايت بحفائلىها قائلاً :

— كيف استطعت أن تسافرى بدونها ؟

— لقد أتتت غيرها . أين نذهب هذا المساء ؟ الى

القاعة ثانية ؟

— على أن نرئى معاطفتنا .

— متى سترحل ثانية ؟

— وأنى لك هذه المعلومات ؟ هل تتابعين سوقيت

السباق . ومهما يكن من أمر . فلن يرحل احدا دون

الآخر .

— لن يكون هذا قبل نهاية العام !

— يمكن أن يتم الزواج بيننا قبل هذا .

— دعنا أولا نحتفل بلقائنا ثانية . الى أين يتعين عليك

السفر ؟

— الى روما . ومن بعد الى سباق الالف ميل عبر

ايطاليا . لقد تحدد له الاسبوع القادم . ما نظرك

تستطيعين مصاحبتي .

— هل ستغوز بهذا السباق ؟

— انه سباق الايطاليين . ولم يثن عن هذا سوى

كاراكويولا بسيارته المرسيديس . أننا ندخل هذا السباق

كفريق من الدرجة الثالثة ، فقد يحدث ما ليس في
الحسيان . هل أنتي ربنا ترتدين ثيابك ؟
- أي ثوب تفضل ؟

- أن كل ثيابك تزيدك جمالا وسحرا . أن طيفك لم
يبرح مخيلتي طوال غيابك عني . لقد انضعت صورتك في
وجداني وهي ذهني ، بحيث لم تترك مجالاً لغيرها . لقد
تضعت الليالي الطوال منطويا على نفسي عازما عن التهور
والمسرات .

- هل لديك مزيد من النبيذ ؟
وقدم اليها كغير قاتل كأسا ، مشفوعا بقبلة منه ،
وطوقت عنقه بذراعها قاتلة :
- أن الحياة عصير أوله حلو وآخره مر . ومهما فعلنا
قلن نستطيع حبال هذا شيئا .

- كيف اتحت لك كل هذه المعرفة ؟
- أني أردد كل ما يجول في خاطري - هذا كل ما في
الامر .

- وماذا تعرفين عن الحب ؟
- لا شيء . لا شيء أكثر من عرض من عواض
الحياة .

- كلا . لقد جانبك التوفيق في حكمك هذا . أن الحب
هو الحقيقة الكبرى التي ننسينا أنفسنا ، وننسينا الكرم
من حقائق الحياة المفجعة . أنه ينسينا الموت .

وضحكت ليليان وهي ترتدي ثوبها . واستطرد كبير
قالت قاتلا : « انعمين ماذا أريد بعد أن التقيت بكأ أريد
أن أعيش حياتي مضاعفة » .

وكنا يقفان بجوار النافذة . فانبرت تقول له :
- أما أنا ، فأريد لنفسى حياة مزاجها يوم من سن

الخمسين . وآخر من سن الثلاثين . وثالث من سن
الثمانين ، كما ينبغي وأريد - لا أن تكون أباما ملاحقة
على مر الزمن ، كما أرادها لنا الزمن وفرضها على
البشر .

وضعت كبير فابت قاتلا ، لا أكاد أن أدرك شيئا مما
تقولين أحيانا - عيا بنا .

وهبطا نرج الفندق . ورددت ليليان في ذهنها ما قاله
لها . أنه لا يفهمي . أنه لا يدرك أنني أريد أن أعيش من
المستقبل أباما أعرف أنه لن يقدر لي العيش فيها ، وأن
الحياة لن تتدبني لأصبح امرأة من الثلاثين .



وعادا ادراجهما الى الفندق بعد ساعتين . وقال لها
عند باب الفندق ، « انت بحاجة ماسة الى النوم » .
- النوم ؟

- الى الراحة . لقد قلت لي أنت كنت مريضة .
- وهل ثرائي متممة ؟

- كلا . ولكنني أفضل لك الراحة اليوم . اخلدي الى
النوم ، وإن كان يعز علي أن أحرم صحبتك لبحص
ساعات .

- طابت ليلتك .
وتبين من تحيتها أنها غير مقتنعة بما قال . فترك
سيارته ولحق بها قاتلا ، « سأصحبك الى غرفتك » .

- كلا . خير لك أن تخلد الى الراحة استعدادا
للسباق .

فحسنت كبير فابت فيها دهشا . وخلي ما بينه وبين
نراعتها . وعادت تحببه تحية المساء ، وواصلت طريقها

الخارجية . وكانت محط أنظار الراحات والفاديات من نساء الارصفة المحترقات . وراحت تتطلع فيما حولها ، تبين النظر في اناس هذا العالم الذي طابعه الخمس ، والذي يقل با يقال فيه ، انه عالم النجون والنسو الرخيص .



بعد أن جلس كبير قايت بحانة الفندق لفترة ما ، رأى أن يتصل بليليان ثليفونيا . وأجابته الحارس الليلي بأنها غير موجودة ، وأنها غادرت الفندق عند نصف ساعة .
 - وهل حدثت معها شيئاً من حقائبها ؟
 - كلا . ياسيدي ، لقد انصرفت مرتدية بمطفا واقيا من المطر .
 - حسناً . وشكراً .

معطف واق من المطر . ترى ماذا تعتزم ؟ أو تعتزم العودة الى المصححة والى صديقها يوريس فولكوف ؟
 وأسرع الى سيارته يستقلها . كان على الا انركها . ترى ماذا دهاني ؟ ماذا فعل الحبيب . ؟ أو يفقد الرجل اترانه حينما يندثه في الحب . لقد وضعت صحتها نصب عيني . فهل ساءها منى هذا ؟

واستفسر من الحارس الليلي عن الطريق الذي اتجهت فيه . وعلم منه انها خرجت سيرا على الاقدام في عكس اتجاه نهر السين . وقاد كبير قايت سيارته على مهل بطول طريق سانت ميشيل . وسمعت ليليان صوت محرك سيارته عن بعد ، ثم شاهدت السيارة مقبلة . وبعد أن وصلت السيارة الى الطرف الاخر من الطريق ، عادت اذراجها . وشاهدت كبير قايت يبعث النظر في المارة بحث

ترتقى اندرج ووقف يتابعها بعينه من حيث هو الى ان اختفت عن ناظريه . ثم مضى في طريقه الى مطعم بيريجوردين ، حيث وقف يشاهد في الخارج عملاءه وهم ينصرفون . وأثر ان يقوم بجولة يفرغ فيها لخواطره والتفكير ملياً في كل ما سمعه منها الليلة .

وكانت نوافذ غرفة بيليان مضاءة ، وان كانت ستائرهما مسددة . واستطاع كبير قايت أن يرى من مكانه حيث قادتته قدماء ، ظل ليليان يتحرك في الغرفة حيفة وذهاباً . وكان يشعر بأنه ضايقها بمسلكه الذي كان لا بد له منه . انه كان يستهدف راحتها ، ويعنى ماقاله لها فعلاً . لقد كانت ليليان متعبه فعلاً وقد اكتفى وجهها بامارات الازماق والتبول . ترى ماذا تفعل الآن ، وكيف سيكون تصرفها ؟ وينذر الى ذهنه انها يجب ان تعلم نهر وجوده وعودته . فأسرع بعبر الطريق ، ليعود بسيارته ، التي عبت الا أن يسمعها صوت محركها ، ثم انطلق بها الى ميدان الكورنكورد .

سمعت ليليان صوت محرك سيارة كبير قايت وهي تبتعد . فنهضت ترتدى معطفا واقيا من المطر . لانها لم تشعر برغبة في استبدال ثوب السهرة الذي كانت لم تخلعه بعد . لقد كانت أبعد ما تكون عن الرغبة في أن تنوى الى فراشها . . حسبها ما نالته من راحة في المصححة .

وهبطت الدرج على مهل . ثم خرجت الى الطريق بخطوات معتدة . وسارت بها قدامها الى طريق سانت ميشيل دون أن تلتفتي بأحد . وما أن صارت في هذا الشارع حتى تقدم منها الكثيرون يعرضون عليها صحبتهم . ورأت أن تتخذ لها مقعداً في أحد انقاعي

عنها . وبعد قليل توقف بسيارته ، وتركها ليواصل بحثه
سيرا على الأقدام . وأقبل بخطو حثيثا ، وسمعت صوته
من الخلف يأمر الماشي بكاسين من البيروني . وقال وهو
يتخذ له مقعدا يجوارها :
- انها جنسة ممقعة . لماذا لم تكن تنزده على هذا
المقهي ؟

- بسرتي قدومك . لم استطيع ان آوى الى فراشي .
ولو كنت أخذت الى النوم ، لما شاهدت اليوم مما كان
جديدا على في كل شيء . انه عالم متناقض من الاضواء
ومن الظلام .

- ولكنك تحلين نفسك أكثر من ملاقتها .
- لم يأن الاوان بعد لتطبيق قواعد الحكمة .

- أرجو ألا تغضبني مني . انني أصعب صحتك فوق كل
اعتبار .
وأخذ بيدها يطبع قبلة عليها .

الفصل السادس عشر

بعد ان غرغت ليليان من انتقاء ما راق لها من ثياب
سألت القائمة على شئون البيع بمتجر ليزيا بالنشباجا :
- وحتى يمكنني استلامها ؟
- بعد أسبوعين . وسنبدأ العمل قورا بأذلين انصي ما
في وسعنا .

وخرجت الى طريق جورج الخامس . وراحت
تستعرض في ذهنها الكثير من أحداث حياتها . وابتسبت
ابتسامة الرضا ، عندما بلغ بها التفكير الى اقدامها على
مغادرة المسحة واقبالها على الحياة تغترف منها ما كانت
تصبو اليه . وتعوض منها ما فاتها . انها لم تشأ ان تترك
للقدر أن يفاجئها بمصيرها ، بل سبقته واخطلست منه
أيامها التي تعيشها الآن .

ووجدت نفسها وجها لوجه أمام الفيكونت دي بايستر ؛
عندما استلدار الى الشانزليزية ، وموجيء دي بايستر
بهذا اللقاء غير المتوقع ، وقال لها :

« أراك سعيدة . هل هي حالة حب جديد ؟ »

- أجل . حب لثوب جديد .

— انه حب سليم خال من الاحزان والقلق .
— وهل يمكن ان يستكمل الحب كيانه ، بدون هذه
المناصر ؟ ما اظنه الا فاقدًا خصائصه ؟
— هل تقبلين دعوتى الى كأس من الكوكتيل بهذه
الشفرة ؟

— حسبي قدحا من القهوة .
وجلسا الى مائدة بشفرة مطعم بوكيه ، وسألها دى
بايستر : « هل لازلت تقيمين بهذا الفندق الصغير على
ضفاف السين ؟

— أجل . وان كنت لا ادرى احيانا اين اقيم .
— ان لك احبنا اسلوبا من التفكير .
— انها احلام اليقظة كما يقولون .
اقبل السناقى بكأس من الشيرى لدى بايستر ، ويقدم
من القهوة ليليان . وسألها دى بايستر :
— هل لك فى شىء تأكلينه ؟
— كلا . كم الساعة الآن ؟
— حوالى الخامسة .

ثم التفتت ليليان الى كبير السقاء تسالنه :
— مسيو لامبرت ، ألم تسمع بعد شيئا عن
السباق ؟

— سمعت اذاعة روما . سيبدا السباق بعد بضع
دقائق . كلير فايث بتولى قيادة السيارة ، ويساعده فى
ذلك توريانى . هل تحبين الاستماع الى الاذاعة ، لقد
احضرت معى جهازا صغيرا .
— كم اتوق متابعة اذاعة السباق .

وسألها دى بايستر : « هل لكى فايث فى روما ؟ »
— كلا . فى بريسكيا .

— لا انام لى بشىء عن السباق ، هل هو سباق خطير ؟
— انه سباق الالف ميل .

وعاد كبير السقاء بجواره قائلا : « لقد بدأ السباق
فعلا . انه سباق بالغ الاهمية . »

ومن محطة اذاعة ميلانو . بدأ المذيع يعلن تحرك
السيارات من نقطة البداية . ويمسك اذنه الجاهل
الذى اقبلت من كل حدب وصوب لشاهدة هذا السباق
الكبير . وانبرى دى بايستر يستفسر :

— ما هو عدد السيارات المشاركة فى السباق ؟
— حوالى الخمسمائة .
— يا الهى ! وما هى المسافة ؟

— الف ميل ، تقطعها السيارة فى المتوسط من خمس
عشرة الى ست عشرة ساعة . وحيدز بانذكر ان الاحطار
تتساقط فى ايطاليا .

وانتهت الاذاعة ، وعاد رئيس السقاء بجهازه .
واضطجعت ليليان فى مقعدها ، وانغمضت عينيها
واستغرقت فى متابعة مرور خيلها . وبعد برهة وجيزة ،
انفرت تقول :

— ان السماء تطرقت فى بريسكيا . اين يا ترى تقع هذه
الشيقة ؟

— بين ميلانو وفيرونا . هل تقبلين دعوتى لتناول طعام
العشاء اللينة ؟

كثفت العاصفة نشد وتقسو . وكان كبير غيت جالسا
الى عجلة القيادة والى جانبه توريانى . وكان كلير فايث
يدرك انه ليس لديه فرصة للفوز . وانه لم يفقد الامل فى
مثل هذا السباق الكبير الذى لا يخلو من المفاجآت . وكان
الا بقا يفكر فى ليليان وفى مسلكها معه . ولم يكن وانثقا

لمن أنها لم تزل في باريس ، وسأل تورياني ،

— هل بعثت بالبرقية الى ليليان ؟

— أجل باق من الزمن دقيقتان .

وتحرك كليرفايت بالسيارة الى خط الترام ، وحاول ان

يبعد عن مخيفته صورة ليليان وان يركز انتباهه في الرجل

الذي سيصدر الامر بالانطلاق ولكن دون جنوى .

وأعلن المذيع عقب اعطاء الاشارة ، وقال : « لقد

تحرك كلير فايت بسيارته ، والى جانبه تورياني » .



غادت ليليان اذراجها الى الفندق . واحست باعراض

الحمى ، ولكنها تجاهلت أحمرها ، وراحت تقامل صورتها

في المرآة . ولم يسمعها الا أن تبسّم . واستدارت لتجد

برقيتين فوق المنضدة . ترى ماذا حدث ؟ وتريثت قليلا

قبل أن تفض أحدهما وكانت هذه البرقية من كلير فايت :

« سنبدا السباق بعد خمس عشرة دقيقة . أرجو أن أجيدك

حيث تركتكم » .

ووضعت البرقية جانبا . ثم انثنت تفض الثانية .

وكانت هي الأخرى من كلير فايت . ترى لماذا يفعل ذلك

الا يعرف أن كثرة البرقيات في مثل هذه الظروف بالذات

من دواعي الأتارة والانفعال ؟

وراحت تشغل نفسها بانتقاء ثوب المسهرة . وسمعت

طرقا على باب غرفتها وأقبل الحارس يقول :

— اليك جهاز الراديو . يمكنك بواسطته الاستماع الى

اذاعة ميلانو وروما بكل سهولة وهذه برقية ثالثة .

وقضت البرقية الثالثة وهي في عجب من أمر

كليرفايت . ولكنها لم تكن من كلير فايت . لقد كانت

من هولمان الذي بعث بخبر تمنياته لكلير فايت . وتساءلت

فيما بينها وبين نفسها ، كيف تأتي لهولمان أن يعرف عنوان

اقامتها .

انه ليوم المفاجآت . هذه البرقية هي أول كلمة تصلها

من المصححة بعد مقابرتها لها . أنها لم تكتب لاحد من

زملائها القدامى ، فقد كانت تريد أن تقطع كل صلة لها

بهذه المرحلة من حياتها .

وجلست برهة طويلة مستغرقة في التفكير . ثم ادارت

جهاز الراديو لتستمع الى ما يذاع من أنباء ، وكانت

اذاعة روما تعلن مراحل السباق والقري ، مع بيان

تقسيمي بالساعات والدقائق التي تقطعها السيارات .

وتطلعت منها شتى الفكر ومختلف المشاعر . وحاولت

أن تدرك السر في هذا السباق مع الموت ، وذلك الامتعام

الجماهيري يمثل هذه الظاهرة . أنها تحاول بكل جهد

متابعة الأنباء ، مع ان لها فيها ناحية نستحوذ على

اهتمامها . ومع ذلك فقد وجدت نفسها توقف الجهاز ،

وتوجه الى النافذة ، تطل منها وتسترسل مع خواطرها .

وعادت تروح وتغدو في غرفتها . لقد كانت قلقة لا

يستقر لها قرار . فقد كانت تشعر في قرارة نفسها ، أنها

ارتكبت خطأ لم يكن في وسعها تجنبه وأصبح من المتعذر

عنيها العنول عنه .

وبدأت ترتدي ثيابها استعدادا للمسهرة . وكانت

البرقية لم تزل في مكانها من المنضدة وعجبت من أمر

نفسها وهي تختلس النظر اليها ، وتعود بها الذاكرة لأول

مرة الى هذه البقعة بين الجبال . ترى ماذا يفعلون في

المصححة ، في هذا الوقت بالذات ، بينما كلير فايت

بسانق بسيارته الزمن .. والموت .
وترددت قليلا ، قبل أن ترفع سماعة التليفون لتتصل
بالمصحة .



صاح ثورياتي ، سيينا . عليك بتغيير الاطارات
غورا .

وعقب كثير فايت قاذلاء ، يا لهذا الطقس المطر
اللعين !

وكان النامس يقفون في كل مكان غير عابئين بهذا الجو
العاصف ، واندفع كثير فايت بسيارته لايلوي على شيء .
ونوقف فجأة بسيارته على حفا حجرة كاذ أن ينردى
فيها . ومد له احداهم يده يكوب من عصير اللبون .
فسأله :

- ما هو مركزنا ؟

- الثامن عشر .

- مركز ردي .

- ومن هو الاول ؟

- ماركييتي .

- ما هي المسافة بيننا وبينه ؟

- مسيرة تسع عشرة دقيقة . لا تطلق .. العبرة
بالوصول الى خط النهاية .

وسمع كثير فايت صوت المدير يبتهل ويصلى كما هي
عابته . فقال له :

، ماذا أتى بك الى هنا ، ان مكانك في بريسكيا ؟

- جئت مستقلا احدى الطائرات الخاصة .

ولم تسمع الدقيقة الباقية من كلماته ، التي لم يترك لها
هدير المحرك مكانا . واندفعت السيارة نخترق
الصفوف . وضعت في طريقها قدما لا غير عابئة بتهليل
الجهاهير ولا بهتافاتهم .

كلا .

و هل كان عدم ذهابك بناء على رغبة كبير فابت ؟

اجل . هذه هي رغبته .

لكنى أتابع انباء السباق فى الراديو . أظن أن هذا

هو شأنك ؟

اجل .

انه يتقدم بصورة مذهلة . أنتى خير من يعرفه . انه

يفترق الفرصة المناسبة ليفتر الى المقدمة . . انه لن

يفعل ذلك قبل منتصف الليل . انه سباق مع الزمن هل

تفهمين ؟

اجل . . سباق مع الزمن . كيف حالك ؟

بخير . ان السرعة تبلغ ٥٠٠ ميلاً فى الساعة .

اجل . اجل . هل تشعرين بتحسن ؟

بتحسن كثير . ليليان . . استمعى الى محطة

روما .

وهذا ما فعله . يسرنى ان اسمع منك عن تحسن

صحتك . أنتى سعيدة بهذا .

وكيف حالك أنت ؟

بخير . .

لقد أحسنت صنعا بعدم ذهابك الى بريسكيا . ان

الطقس مكفهر مشحون بالأمطار .

كيف تسير الامور عندكم ؟

فى طريقها المعتاد . لم يطرأ عليها تغيير يذكر .

كيف حال يوريس ؟

من ؟

يوريس هولكوف .

اننا لا نراه كثيرا . لم يعد يحضر الى المحطة .

الفصل السابع عشر

تم الاتصال التليفونى ، بأسرع مما كانت تتوقع
ليليان . « محطة بيللا قيسقا » .

ورجحت ليليان ان الصوت ، صوت ممن هيجار ،
فقالته وهى تكاد ان تسمع دقات قلبها ، « مسقر هولمان ،
من فضلك » .

لحظة واحدة لو سمحت »

وانتظرت على أحر من الجمر . وكان واضحا انهم
يبحثون عن هولمان . وأخيرا تناقلت الاسلاك الحديث
التليفونى .

هولمان . من المتحدث ؟

ليليان .

من ؟

ليليان دنكرك .

ليليان ! اين أنت ؟

فى باريس . لقد تسلمت برقيتك الى كبير فابت . لقد

بعثت بها الى فندقه .

الست فى بريسكيا ؟

أظن انه بخير .

— ألم تلتق به مطلقاً ؟

— بلى ، التقيت به عند أسبوعين تقريباً ، وكان معه
كلية البوليس الذي تعرفينه جيداً ، ولم تتبادل حديثاً ما .
كيف وجدت عاملك ؟ أو كان كما تخيلته ؟
— أكثر مما خيل الي ، واعتقد ان الأمر يتوقف على
أسلوب حياتك فيه .

— ليليان ، لقد أمرني كبير الاضياء بمغادرة المصحة
بعد بضعة أسابيع .

ولم تصدق ليليان ما سمعته منه ، فلطالما وعدت
بذلك ، ولكنها اجابته قائلة :

— رائع . اذن فقد قدر لنا ان نلتقي ، هل ابلغ كلير
فايت بالثأ السار ؟

— من الخير الا تقعلي هذا . ان المذيع يعلن آخر انباء
السياق ، واعتقد انك تحبين الاستماع اليها ، الى لقاء
قريب .

— الى اللقاء .

وكأنت تود لو اضافت الي حديثها شيئاً عن بوريس ،
ولكنها لم تفعل شيئاً من هذا القبيل ، واعادت سماعه
التليفون الي مكانها ، ثم وقفت مستغرقة في تأملاتها ، التي
ان وجدت نفسها تتخبط في الجكاء .



استرسل الفيكونت دي بايستر في حديثه قائلاً :

— لقد أصبح لكلمة السعادة أهمية خاصة في عصرنا
هذا ، لقد أصبحت عزيزة المال منذ ثرون . والناس
يجدون في طلبها الي ان تقدمهم هذا لذة الشعور بها .

— وهل انت من الباحثين عن السعادة ؟

— ومن المعجبين بها لابل من الحالمين بها ، ثم لا ننسى
بان في شقاء الآخرين أحياناً سعادة البعض ان السعادة
كثير يضحى في سبيل العثور عليه بكل عزيزة ، وانها لتكون
أحياناً على مقربة منا ولا نحس بها . . . ونتركها نفلت من
بين أيدينا .

تري ، هل نعود الي هذا الحديث لتتخذ منه منفذاً
الي ما تريد ان تعرضه علي . !

ان اميح عشيقتك ؟

— اطلقني عليه ماشئت من أسماء ، انه العرض الذي
بهيء لك ما انت بحاجة اليه من اطار ، وفي معنى آخر
انه الاطار الذي يناسبك .

— كهذا الاطار الذي تثبت به وتحيط حجراً .

— حجر كريم ثمين .

— حجر الياس القاش ؟

— حجر من الوحدة ، والعزلة النفسية ، ومن

الشجاعة ، والاقدام المستهتر . . سيدتي ، ارجو ان
تغفري لي الحاحي ، ان ماسة لها مثل هذا البريق اثنا
تعد من الاحجار الكريمة النادرة الوجود . هل تحبين
الاستماع الي آخر انباء سياق ايطاليا .

— هنا ؟ وفي مكسيم ؟

— ولم لا ؟ ان اثرت ، سيد هذا الملهي ، على استعداد

دائماً لتلبية رغبات العملاء ، انه رجل واسع الأفق بعيد
الظفر .

ويدات الفرقة الموسيقية تعزف قسعة من الارملة
الظروب ، وأمر لها الثرت بزحاجة من الكونيكات تاركالهما
اختيار نوعها ، ومدت ليليان يدها الي كاسها تلقى

بمحتوياته فى جوهرها - وضحك دى بايستر، وتاملته ليليان ، ورات فيه ذلك الطراز من الرجال اومن البشر الذى يجسد الناحية الاخرى من الوجود الانسانى . - هذا الطراز الذى له القدرة على تحويل طرق الجبال الوعرة ليجعل منها طرقا للمتزهات اليانعة المزهرة . انه يذكرها بلذالى صقلية - وبابرتة قائلة :

- يجب ان ننصرف الان .

- ما اكثر ما تقولين ذلك . - دائما تريدان الانصراف . - لو تعلم كم احب ان تستمر هذه الجلسة . ان الدوام من الامور المتعدرة . او يمكن ان نقف بنا عقارب الساعة حيث هي الان . لكل شىء مهما طال نهاية . واصطحبها فى سيارته الى فندقها ، حيث تركها مودعا . واقبل الحارس الليلى يستقبلها فى انفعال قانلا :

ان السيد كبير فايت يحتل المركز الثانى عشر وقد أعلن الخيع انه يقود سيارته ببراعة فائقة ! «
- هذا ما اعرفه عنه .

- اذا ما واصلتقدمه هذا - فانه سيكون فى مقدمة العائدين الى بريسكيا فى الصباح الباكر . واستدارت تزمع السير الى طريق سانت - ميشيل لتناول قذح من القهوة والاستماع الى بما يضطرب به هذا الحى من حياة على قضاء بضغ ساعات من الليل .

وبعد ان شعرت بحاجتها الى التغيير ، نهضت تمشى فى الطرقات المحيطة بهذا الحى دون ان تحشى الليل او السير بمفردها .

واثناء سيرها عبر طريق السين ، وقع نظرها على امرأة مستقيمة على الارض ، حسبتها ، مضمورة ، فلم

تتوقف لتتبين حقيقة امرها . الا ان خاطرا تبادر الى ذهنها ، وحدا بها الى العودة بضغ خطوات ، لتجد ان المرأة قد فارقت الحياة . فندت عن صدر ليليان صرخة مكتومة . ووقفت حيرى لا تدري ماذا هي فاعلة . وتلفت حولها لتجد جيران ، شاعر الحى الذى كانت لها به سابق معرفة مقبلا . فبادرت قائلة :

- تقدم . ان امرأة ميتة ملقاة هناك .

- ربما كانت ثملة او فاقدة الوعى .

- كلا ، لقد فارقت الحياة . ماذا هناك ؟

- لست احب ان اقحم نفسى فى مثل هذه الامور .

- ولكننا لا نتركها ملقاة حيث هي .

هذا عن شان رجال الشرطة . يجب ان نبتعد خشية ان يظنوا بنا الظنون . فلم بنا !

واطبق الشاعر على ذراعها . ولكنها وقفت ساكنة تحمق فى الوجه الذى لم تعد صاحبه تقدرى شيئا عما يدور حولها . والذى تعرف صاحبه الان مالا تعرفه هي . وعاد جيران يلح عليها بقوله :

« عيا بنا ! اننا لن نلقى سوى المناعب . يمكننا ان نتصل بأولى الامر تليفونيا ليتولوا امرها . »

وانصاحت له . وكانت تدرك فى قرارة نفسها ان جيران كان على حق فيما زعم . واسرع الرجل بخطاه مبتعدا عن مسرح الموت . ان الحديث عن الموت شىء ومواجهته شىء آخر .

ورأت انه يحسن بهما الاتصال بالشرطة تليفونيا من الفندق . وقام جيران بايلاغ الشرطة ودعته الى كاس من الشمبانيا . واقبل الحارس الليلى بالزجاجة قائلا :

« لقد اصبح كبير فايت فى المركز العاشر . »

وأستاذتها جيوار في الانصراف ، وفى ان يحمل ما
تبقى من زجاجة الشمبانيا معه وأثلت له ، وشيعته
باجتماعه .
وارتقت الدرج الى غرفتها؛ حيث خلعت ثيابها وآوت
الى فراشها .

•••

صحت ليليان من نومها ، على رنين التليفون .
وكانت أشعة شمس الصباح تتدفق من ثيابها ستر النافذة ،
وقدرت ان المتحدث أحد رجال الشرطة ، ورددت
التليفون . وكان المتحدث هو كلير فايت :
- لقد وصلنا لتونا الى بريسكيا .
- بريسكيا ! هل انتهى السباق ؟
- وهى المركز السادس .
- انها نتيجة رائعة .
- ليس الى هذا الحد . اننى عائد غدا . سأخذ الى
النوم الآن . ان توربانى يخط فى نومه فوق المقعد المجاور
لى .

- أجل . يجب ان تنال تسطا من الراحة . لقد
أصنفت صنعا بانصالك بي
- هل ستصحىبىنى الى الريفييرا ؟
- أجل .
- عليك بانتظارى .
- أجل . أجل .
- اياك وان قرطلى الى اى مكان قبل عودتى .
- ستجدنى فى انتظارك .

الفصل الثامن عشر

قال لها كلير فايت : « لقد ابتعت هذا البيت قبل
الحرب ، حينما كان فى وسعك ان تبتاعى نصف الريفييرا
فى مقابل أغنية . ولم يسبق لى ان أقتت به ، أكثر من
الفترة التى كنت أودع فيها بعض الحاجيات والمؤن .
وكما ترى ، انه بيت من الطراز القديم . ولن يتعذر علينا
امادة زخرفته وتثيبته على طراز عصرى » .

فضحكت ليليان قائله ، « وهل تريد الاقامة هنا
حقا ؟ »

- وما المانع ؟
وتطلعت بعينها من النافذة الى الحديقة المظلمة ،
قائلة :

- حينما تتبغ الخادمة والستين ، وبعد حياة الكد فى
نولوز . يمكنك ان تتقاعد كموطن فرنسى صالح فى
هذه الناحية ، وتقضى أوقاتك بين فندق دى بارى وبين
الكازينو فى أيام الاحاد .
- ان الحديقة كبيرة . وهى تستغرق الكثير للعناية
بها . وأرجو ان يتاح لى تدعيم منحراشى بتصيبى من
سباق موناكو . ما هو وجه اعتراضك على الاقامة هنا ؟

هل تؤثرين الإقامة في بلد آخر ؟

— لست أدري .

— كيف ؟ أليست لديك أية فكرة ؟

— كلا . أنتي لأحب التفكير في مثل هذه الأمور . أن في تحديد مكان الإقامة ، تحديدا للمكان الذي تموت فيه .

— أن طقس الشتاء هنا ، أحسن بكثير من طقس الشتاء في باريس . وعلينا أن نسرغ بإجراء التحسينات المرغوبة قبل أن يحل الشتاء .

— التي تضطر إلى الإقامة في قولون إبان الشتاء ؟

— بلى . ولكنني أريد أن أطمئن على استقرارك معك .

يلثم صحتك في الشتاء .

— أن المصححة خير مكان صالح في الشتاء .

— وهل ينبغي لك العودة إليها ؟

— فلم تعتب بشيء . وعندك الكثير فإيت يلج لي .

السؤال :

— هل تحبين أن تعودى إلى المصححة ؟

— بما تربدني . أن أجيب لست معك الآن ؟

— هل استشرت طبيبا في ذلك ؟

— هذا ما لا حاجة بي إليه .

— سنتوجه معا لزيارة أحد الأطباء . وسأبحث لك عن

أحسن طبيب في فرنسا ، لنسأله رايه .

والتزمت ليليان جانب الصمت

أخرى من حياتنا . أن كثير فإيت ، كان يكفيه مني فأكيدى

له بأن حالتي الصحية لا تستدعى شيئا من هذا القبيل :

لقد تغيرت الأوضاع الآن . أنه التفكير في الاستقرار الذي يحمله على انتهاج هذا الأسلوب الجديد

واستطرد كثير فإيت :

— هلم بنا إلى الخارج . إلى الأضواء والحياة .

وفي الخارج ، تنفست ليليان الصعداء . وسمعت كثير فإيت بصارحها بقوله :

— في الحق ، أنت راغبة عن الإقامة معى ومشاركتي

حياتي . هذا ما تحركه تماما .

— السنأ معا فعلا ؟ لست أقيم معك ؟

— أنك تقيمين معى إقامة من يزعم الرحيل غدا .

— ألم يكن هذا هو أسلوبك في الحياة ؟

— ربما . أما الآن ، فلا : أنك لا تريدان أن قريبطي

حياتي بك .

— ولا يفورت .

— وما هو المر في ذلك ؟

— لقد تحدثنا في ذلك بما فيه الكفاية . لماذا تعود دائما

إلى هذا الموضوع

— لأنه لم يسبق لى أن رغبت في شيء جاد بمثل ما

رغبت في الزواج منك ، والاستقرار معى في معيشة

واحدة .

— لست معك الآن ؟

— هذا لا يكتفى .

أنها لا تريد أن ترتبط بشخص أو بمكان ما . أنها ترى

في هذا البيت ، أو في غيرده سجنأ لها

لماذا يصر على تفكير صفو حياتنا بالحاجة هذا ؟

لماذا لا يتنع بما نحن فيه ؟ وسمعهه يستطرد قائلا :

— يمكنك أن تحاولي . فإذا ما قدر لهذه التجربة

الفشل ، فلك أن تفعلى ما تشائين .

وجال بخاطرهما : وهل لدى فسحة من الوقت

للمحاولات والتجارب ؟ حتى هذه المناقشات ، لم يعدلدى

فمنحة من الوقت لها . يجب أن أرحل عنه واختفى من حياته .

وتحملت بالهدوء . . أنها لم تعد تخشى شيئا .
واتجها الى الكازينو . وراح كليبر قايت يقامر ويربح .
وقال لليليان :

« أرجو أن تظلي في مكائك خلفي لانيك تجلبين لي الحظ . »

وواتاه الحظ بصورة مذهلة . وتكدست النقود امامه . وأصبح محط انظار المثقفين حول المائدة الخضراء . ورات ليليان الامير فيولا . من بين الواقفين . - الامير فيولا الذي زاملها في الرقص في تلك الحفل بصقلية . وداب كليبر قايت على المقامرة الى جانب اللون الاحمر . ولم يتخل عنه حظه الى أن أصبح محورا لحديث الجميع . وجمع كليبر قايت اربابها . وتهيأ للانصراف قائلا :

« لقد جلبت لي الحظ فعلا بوقوفك خلفي . »

وما أن ترك المائدة ، وأطلع عن المقامرة ، حتى لم يعد الحظ في جانب اللون الاحمر . الذي كان الرابع على طول الخط . وعقب على هذا قائلا :

« أرايت ، انها الحانسة السادسة . ؟ »

وابتسمت . آه لو قدر لك أن تنتفع بها في شئون الحب :

واقبل الامير فيولا يزجي كهاتيه لهما :

« ان التوقف عن المقامرة في الوقت المناسب ، فن في حد ذاته . »

ثم استدار الى ليليان قائلا : « الاتواقفين ؟ »

« لست أمري . اذ لست لي خبرة بذلك . »

فضحك قائلا : « لا اصدق شيئا من هذا القبيل . لقد قادرت صقلية بعد أن غزوت القلوب وشغلت الازهار . ثم وصلت الى روما ورحلت عنها كالبرق الخاطف . وفي فينيسيا لم يتيسر لاحد أن يلتقي بك . هذا ما قيل لي . »
وتوجهت الى المطعم للاحتفال بها وفق اليه كثير قايت ، الذي يادرها قائلا :

« اعتقد ان في استطاعتي بما ربحته الليلة، تنقذك من نوبه من تحسينات في المنزل والتعجيل باعداده . »

« ولماذا لا تقدر أنك قد تتعرض لخسارة غدا ؟ »

« هل هذا هو ما تقمنين ؟ »

« كلا ، بكل تأكيد . »

« انتي لن اعيد الكرة . وساضيف الى التحسينات ببناء حوض للسباحة بالحديقة . »

« لست بحاجة اليه ، لاني لا اتم بالسباحة . »

« هل أنت متعبة ؟ »

« كلا . »

ولحق بها فيولا . وبعد ان اتخذ له مقعدا قال :

لقد كان نوالى الاحمر مجرزة . ان مثل هذه الظواهر لا تحدث كثيرا . ولم يسبق لي ان شاهدت هذه الظواهر السجبية سوى مرة واحدة ، نوالى فيها ربح اللون الاسود . وكان هذا فيما قبل الحرب ، وقد ادنى حظ المقامر الذي لا يقهر الى افلاس البنث . وكان يراهن على اللون الاسود وعلى رقم ١٢ ، بالنتابع . وكان الجميع يتحدثون حذوه . بعد ان تقاءلوا به . وكان هذا الرجل روسيا . واطن أنه كان يدعى فولكوف .

فسألته ليليان وهي غير مصدقة لما سمعت :

« فولكوف بوريسي فولكوف . »

- تماما ، بوريس فولكوف ! هل لك سابق معرفة به
فوزت رأسها نغيا . وكان كبير قايت يتأملها عن كثب .
واستطرد فيولا قائلا :

- بودى لو عرفت ما كان من أمر هذا الرجل . لقد كان
يشترك أحيانا في سباق السيارات ، وكان طمعا بدمنا
للخير . ولعل هذا الإدمان هو الذي أنتهى به إلى ما لا
تحمد عقابه . هل تزمع إعادة الكرة الليلة ؟
- ولم لا ؟ أن الحظ يجذب الحظ .

- من الخطأ الجسم أن يعود الانسان إلى المائدة
الخضراء بعد مغادرتها رابعا . أنها قاعدة قديمة قدم
هذا العالم .

ونفض كبير قايت دون أن يدعها لمرافقته هذه المرة .
ودعاها فيولا لتبارك حظه العائر ، وانجها إلى مائدة
بخلاف المائدة التي اتجه إليها كبير قايت . وريحت
ليليان . ريحت مع الرقم مسفر ثم ريحت مع الرقم
١٣ . أما فيولا ، فقد كان حظه العائر ملازما له . وبعد
قليل رأيت كبير قايت ينف خلفها ويتابع أسلوب مغامرتها .
وقالت أخيرا : حسبي هذا .

او حثها فيولا على مواصلة المقامرة قائلا :

« أن الليلة ليلتك . وهذا الحظ فرصة لا تعوض ! »
- لقد انتهى الليل وولى ، ولولا هذه الستائر لرأيت
نور الصباح .

وحا أن خدمت مع كبير قايت إلى خارج الكازينو ، حتى
رأت الزيفيرا في ثوبها الطبيعي - سماء نحاسية اللون
عند الاق ، تلتقي ببحر تتلاطم أمواجه في انتظار بزوغ
الشمس بأشعتها الذهبية . وكان الشاطئ هادئا ،
والتسيم يحمل معه رائحة البحر المالوفة .

ولم تدر ليليان كيف بدأت المناقشة بينهما ، ولا كيف
تفجرت جدلا عنيفا . لقد سمعته يتحدث ويتحدث ، ولكنها
لم تفهم مما يحمله حديثه إلى أنيها شيئا :

- ماذا في وسعى أن افعل ؟ رجل استمد من غيابه قوة
لم يكن ليحظى بها لو كان موجودا معنا . أنك تريننى الآن
بكل ما في من محاسن وعيوب . أما هو فلا عيوب له ،
لانه لا وجود له ، ولا يمكن للمدم أن يخلق غير العدم .
ليس هذا هو التصوير الصحيح لحالتنا ؟ اليس هذا هو
شأننا ؟ لقد كنت أشعر بهذا في قرارة نفسي . وهذا
هو السر في رفضك الزواج بنى أنك تريدن العوده
إليه !

ورفعت ليليان رأسها إليه وهي تردد :

- ما هذا ؟ ماذا نقول ؟

- اليس هذا هو الحق الصريح ؟ اليس هذا

هو عين ما يدور بخذك ؟

- لم يجلب بخاطري سوى ما يتردى أكثر الناس فيه
من خطأ لاتحاول أن ترغمينى على موافقتك فيما ترغم
تسرا .

اننى افعل كل شيء في سبيل الاحتفاظ بك .

- وهل تستقد انه بيحكك عذا بسلوك هذا المسك ؟

خل بينك وبين هذه الفيرة ان بوريس سيرفض لقالى

اذ ماقدر ان اعود ادراجى إلى حيث كنت .

- هذا لا ينفى أنك تريدن العوده من حيث انتهت .

- لا ترغمينى على التفكير في الماضي . هل أعينى

الله بصيرتك ؟

- ربما كان الامر كذلك . ربما .

وقاه سيارته في صمت عبر طريق البحر إلى أنتيب .

وتشاهدنا عربة يجرها حمار ، وتجلس في معتد القيادة
منها فتاة في ربيع العمر ، رافعة عقيرتها بالغناء ، وتاملت
ليليان الفتاة وهي سعيدة .

وأغرورقت عينها بالدموع ، وأشاحت بوجهها عن
كثير فابت الذي سالها :

« ليس تبه ما يدعو لكاء . انك نخوتيني مع شبح .
نعم . ولكن الشبح لا يسمى بوريس . ترى هل أخبرك
باسم الحقيقى ؟ ولكنه سيودعنى ، بعد ذلك ، احدى
المستشفيات ، ويقم على بابها الحراس ، الى ان يقضى
الله أمرا كان مفعولا . »

واستدارت تنامل وجهه كثير فابت . ان خبر ما فعله من
هذا الموقف ، هو ان احتفى من حياته . . . لقد خبا وميض
التار ، ولم يعد ثمة جدوى من التثبث بالرماد .
ودنقا بالمسيارة الى ساحة الفندق . وأخذ كثير فابت
بيد ليليان دون ان يحاول النظر الى وجهها قائلا :

« لن نلتقى كثيرا . فعند سيدنا التدريب . . .
وكان يبالغ فى قوله هذا . لان السياق القالى لم يكن
يتطلب تدريبا . وسينت ليليان من تولده حقيقة ما آل اليه
الموقف بينهما لقد بلغ بهما طريقه المسدود . ان كثير
فابت لن يعود اليها بالصورة التى كان عليها من قبل . . .
لقد انتهى عهد ما كان بينهما من مشاعر متبادلة - من
الحب الخالص ، والنية الصالفة . ان الحب من أرق
الشاعر وأدقها حدا . وليس من اليسير على جميع البشر
ان يوفقوا فى اختيار طريقه بدون مشقة أو عسر ان ما
تبقى لها من أيام الحياة ، ليس لكثير فابت نصيب فيه .
ومع ذلك فليس لديها متسع من الوقت للتغيير ، ولبدء
حياة جديدة . أية حياة جديدة ؟ انها لتدرك ان هذه هى

حياتها ، وانها استنفدت منها الكثير . وقطعت برأى غيما
يجب ان تقونه له :

« كثير فابت . . ان ما قلته ليس فيه نصيب من
الصحة . ولا يستند الى حقيقة أو منطق صحيح !
تلتبس كل ما نفوحت به . . . لانه أبعد ما يكون عن الواقع !
هل ستشاركينى حياتى ؟
- أجل

« وكاشت تريد ان تضع حدا لاي خلاف بينهما . وعاد
يلح :

« هل تبينت أخيرا ما تريد ؟
- أجل . »

« وهل تقبلين الزواج منى ؟
- أجل . »

« متى سيكون ذلك ؟
- حينما تشاء . فليكن فى الخريف . »

« أخيرا ساد الوقاق بيننا ! لن نأسفى على قرارت
هذا !
- أدرك هذا . »

« انك متعبة . . جد متعبة . . يجب ان تخلدى الى
الراحة
- وانت ؟ »

« سائهم بالسباحة قليلا ثم امضى فى طريقى
ودعيت بها الى غرقتها ، حيث أودعها فراشها .
وانصرف فى هدوء . وتبادر الى ذهنها : كأتى به يودع
مریضة فى فراشها باحدى المستشفيات .
وكانت نافذة غرفتها مفتوحة . وراته يتجه الى
الشاطىء . وعقدت العزم فيما بينها وبين نفسها على ان
تهجره بعد السياق ، وترحل بعيدا عنه . »

دور ، نأكل ونشرب ونلهو ونعبث . وغدا سنتوجه
للقابلة مهندسى معمارى تسألته أن يخلصنا لنا مشروعاً
لتجديد المنزل .
وسمعت صوت المدير ينادى باللغة الإيطالية . وقال لها
كلير فايت : سيبدأ السباق .
وقبلته ليليان متمنية له التوفيق والسلامة . ولوح لها
كلير فايت بيده بعد أن استقل سيارته ولوحت هى الأخرى
بيدها .



انطلقت عشرون سيارة . وكان كلير فايت يحتل المركز
الثامن . فى الجولة الأولى . وكان ماركيشى فى المقدمة .
وفى الدورة الرابعة ، أصبح كلير فايت فى المركز
السابع ، وذلك قبل اجتياز النفق . وبعد ثلاث دورات
أخرى ، أصبح فى السادس .

وجعلت ليليان من مقدمها فى المنصة تتابع المتسابقين
وهم يمرقون . أمامها ، فلا تكاد أن ترى السيارة حتى
تختفى عن نظرها ، ثم تعود بعد قليل فى أقل من
دقيقتين . أن على هؤلاء المتسابقين أن يستكملوا مائة
دورة . وبعد ما يقرب من الأربعين دورة ، شعرت بأنه قد
آن الأوان لأن تغادر المنصة الى حيث تستقل القطار قبل
انتهاء السباق . وكانت تحتفظ بذاكرة للسفر التى
زورج ، ابتاعها فى صباح اليوم ، بيتها كان كلير فايت
يقوم بالتدريبات الأخير . وكان الميعاد المحدد بالذاكرة هو
بعد الغد ، حينما يستقل كلير فايت الطائرة الى روما فى
المساء . وكان مفروضاً أن تستقل القطار بعد ذلك . لقد
اعترفت الرحيل فى غفلة منه لكى تحبب نفسها وتجنبه

الفصل التاسع عشر

لم تكن مسافة السباق بأكثر من ميلين طويلاً ، ولكن
طريق السباق كان يؤدى الى شوارع مونت كارلو ، التى
تضيق المدينة ، ومنها الى طريق الشاطئ ، عبر
المرتفعات المشيد فوقها الكازينوهات ، ثم العودة الى خط
القياس . وكان طريق السباق مقسماً فى الكثير من
مقاطع ، وكثير المنحنيات ، دقيق الزوايا فى البعض
منها . وكان على السيارة أن تدور ، وتدور فى مثل هذه
المنحنيات . والمنعرجات منات المرات ، متطلبة جهداً
مضنياً وبراعة لاندانى . وقال كلير فايت لليليان
ضاحكاً :

- ياله من طريق ماجن ، عايت . ان القيادة فيه أشبه
بالقيادة فى السيرك . لانكاد السيارة ان تتطلق ، حتى
تواجه بأحد المنحنيات . أين متجلسين ؟
- فى المنصة فى الحف العاشر بالناحية اليمنى .
- سيكون الطقس شديد الحرارة . هل معك قبعة ؟
- أجل . الاتكفى هذه ؟
- حسناً . سنغضى معا هذه الامسية فى الباليون

ملا طائرل تحته من جبال أو نقاش . وبينما كانت مستغرقة في خواطرها ، سمعت القوم من حولها يهتفون لكبير فائت الذي استطاع أن يحتل مركزًا آخر الى الامام .



وبعد ساعة ، استطاع كبير فائت أن يحتل المركز الثاني . ولم يصبح امامه سوى أن يتقدم ماركيتي . وكان امامه ثمانى عشرة دورة اخرى . وقد حرص على أن يحافظ على المركز الثاني . الى آخر لحظة حتى يتسنى له أن يقفز الى المركز الاول على غرة من ماركيتي . وبدأ ماركيتي يعضض طريقه ويسده عليه . وما أن قطن الى ما يرمى اليه متلفسه حتى كان كل هم كبير فائت ، أن يفوز بهذا السباق الذي يعلق عليه أمالا كبارا ، فتركز كلها في ليليان وفي الاستقرار معها في حياه زوجية سعيدة . وكان وثقا من نفسه . وكان سعيدا بثقته هذه . سعيدا بقرب تحقيق ما كان يصبو اليه طوال حياته من استقرار .



وتفجأة يرى سيارة ماركيتي ترقص من تحت قائدها ، ثم تدور به وتدور ، لتتقلب به رأسا على عقب وماركيتي يطير في الهواء ليسقط على الارض . وحاول كبير فائت أن يجد لسيارته منفذًا يتدفق بها منه ، ولكنه أدرك أن هذا مستحيل عليه ، بسبب السيارة الرافعة وسيارة الاسعاف ، اللتين برزتا فجأة الى الطريق . وعلى الرغم من هذا كله ، فإن رغبته في الفوز وانتهاز هذه الفرصة ، حدث به الى الاقدام على محاولة أخرى انتهت به الى كارثة كانت

محققة ! وكان أن حطمت عجلة القيادة عظام صدره ، علاوة على ما لحق به من اضرار اخرى . ودارت انديامن حوله قبل أن يفقد وعيه . وأسرع رجال الاسعاف وغيرهم من رجال الانقاذ الى كبير فائت وسيارته لاخرالجه من الحمام ، وابعاد سيارته عن النيران المتخلفة عن الاصطدام الاول .



لم تتبين ليليان ما حدث لأول وهلة . ولم يكن صوت المذيع . واضحا . لقد سمعت عن اصطدام بعض السيارات ، دون تحديد أو تخصيص . ثم راحت تتابع نقل السيارات في مرورها امام المنصة . دون أن ترى بينها سيارة كبير فائت . فغير انها لم تصدق عينها مرحة خطأها . ثم عادت تستمع الى المذيع الذي كان يردد نبا النصارم واصابة بعض المتسابقين دون أن يقتل احد منهم . ووعده المشاهدين بانباء اخرى اكثر رقة .

وبعد ذلك ، بدأ يمر مرارًا مراكز المتسابقين حسب تتابعها ولم تسمع ليليان شيئًا عن كبير فائت الذي كان في المركز الثاني . وراحت أن تركز انتباهها في متابعة السيارات المتسابقة في دوراتها ، باحثة عن رقم ١٢ ، المدون فوق السيارة الحمراء . ولم تعثر للسيارة عن أثر بين غيرها . وبينما كانت في حالة من الشك الرهيب ، سمعت المذيع يعلن : « ومن بين المتسابقين كبير فائت ، الذي نقل الى المستشفى فاقد الوعي . »

هذا ما لا يمكن تصديقه ! وبالذات في هذا السباق الذي لا يعد شيئًا متكورًا قيامًا على غيره لابد وأن في الامر لبسًا . أن سيارته لا محانة مندفعة مع غيرها ، وما

هي إلا لحظة حتى تبدو في مقدمة السيارات . ثم عادت تردد : « فاقدر الوعى ! ماذا يعنى هذا ؟ »

وأخيرا وجدت تنبيهها . . دون ارادة منها ، تحملناها الى نقطة المراقبة . . بأمل أن تجده هناك ، مستلقيا فوق إحدى الحفلات . ووجدت المدير يقول لها ، وقد تندی عرقا :

« لقد نقل الى المستشفى . رياه لماذا يحدث هذا لنا ! لحظة من فضلك . . »

واندفع الرجل الى حافة الطريق يتابع مسائر السيارات . فأسرعت ليليان الى جاتبه نسأله في صوت مرتفع :

— ماذا حدث ؟

ولم تسمع منه اجابة على سؤالها . وراحت تدور بعينيهما نباحا حولها لتقع على من يشغى غليلها دون جدوى . بل ولاحظت أنهم كانوا يتجنبونها ويبتعدون عنها .

وعاد المدير برعد وبزبد ، فقال له :

دعنى من كل هذا . . أريد ان اعرف اين اجده الان

— فى المستشفى حيث نقل .

— ولماذا لم تذهب معه ؟

— وماذا يمكننى ان افعل له ! انه بحاجة الى طبيب

الان ، وليس الى مدير .

— خبرنى ! ماذا لم به ؟

— لست ادرى . اننى لم اره بعد اصابته . اننى يجب

ان اتابع المسابق من مكائى هذا .

— نعم ، نعم . فالسباق يجب ألا يتوقف !

— هذه على الحياة . ان الحياة لا تتوقف باصابة

أحد . . حتى ولا بموته .

— هل قضى تحيه ؟

— كلا . كلا . انه فاقد الوعى فقط . آسف يا سيدتى .

وعاد المدير يتابع السباق . واستدارت ليليان تعود لراجها .

وامتقلت عربة ركوب الى المستشفى . . وجلست

ليليان غريسة الحزن والاسى وكانت تستحث قائد العربة

أن يسرع بها . اذا كان يخيل اليها أنها لا تتحرك .

وأخيرا ، توقفت بها العربة أمام المستشفى ، التى خيل

ليها أنها كانت على حدود الابد . وكانت ليليان ، قد

عاهدت نفسها ، فى تلك الدقائق وهى فى طريقها الى

المستشفى أنها لن تهجر كبيرها ، وأنها ستقبل الزواج

منه . اذا ما قدرت له النجاة !

وقالت لها ممرضة الاستقبال : « ان السيد كبيرها

فى غرفة العمليات . »

— هل يمكن ان اعرف منك مدى اصابته ؟

— آسفة يا سيدتى . هل أنت زوجته ؟

— كلا .

— احدى قريباته ؟

— وما علاقة هذا بحقيقة حالته ؟

— لا شيء . سوى ان التعليمات تقضى بعدم التصريح

لغير الاقارب بزيارته بعد الفراغ من الجراحة .

— وهل كان من المقين اجراء جراحة له ؟

— هذا ما قرره الاطباء .

هل يمكن ان يسمح لى بالانتظار ؟

وأوعدت الممرضة لها ايجابا ، وهى تشير بيدها الى

غرفة الانتظار .

وجلست ليليان تتصفح بعض الجلات دون أن تعي شيئاً مما تقرأ أو تزي . وكانت قلقة ، تضع هذه تقمسك بتلك ، وتنهض عن مقعدها وتعود لتجلس من جديد ، وقد خيل اليها أن دنياها قد انحسرت في تلك اللحظات التي تمضيها بين جدران تلك الغرفة .

وبعد خمس عشرة دقيقة ، حين كانت تقف بنساقفة الغرفة تطل منها ، رأت سيارة تقف بباب المستشفى ، وبها الخيزر واثنان من مساعديه ، وبعد برهة وجيزة دخلوا إلى غرفة الانتظار واجمين بهيومن .

وسألتهم ليليان : « ما هي آخر الأنباء ؟ »
وأشار المدير إلى أحد مساعديه قائلاً :
- لقد كان موجوداً حينما نقل من سيارته .
وقال الميكانيكي : - لقد كانت الدماء منبثقة من فمه .
- من فمه ؟
- أجل يا سيدتي . كانت أشبه بنزيف صدري .
- هذا مستحيل . أنه لم يكن مريضاً فلم يتعرض لنزوف صدري ؟
- لأن عجلة القيادة حطمت القفص الصدري .
كلاً ، كلاً .

اتجه المدير إلى الباب قائلاً : سأحاول مقابلة الطبيب وسمعت ليليان مناقشته اتحاداً مع الممرضة ، ثم عاد أدراجها ، ووقف بالباب ساكناً لا يتحرك . ثم تحركت شفاهه دون أن يسمع له صوت . وأخيراً قال : « لقد لفنا .
كلير قايت أنفاسه الأخيرة . »

حمل مساعده في وجهه ، ثم قال له أصغرهما سناً :
« وهل أجريت له جراحة ؟ هل أخطأ الأطباء في شيء ؟ »

- ثم نجر له جراحة . لقد توفي قبل أن يتمكنوا من هذا .
ووقف الرجال الثلاثة يتأملون نيبان .
وأخيراً قالت : « واين هو الآن ؟ »
- عن الأفضل ألا تربته الآن . فلنؤجل هذا إلى الغد .
- ومن يا ترى صاحب هذا الرأي ؟
- إنه الطبيب . أنك أن رأيتك لن تتعرفى عليه . وأنه لمن الخير لك أن تعودى في الغد . يمكن أن تصحبك إلى الفنك .
- وماذا يتعذر على أن أتعرف عليه .
وأطرق الأخير لحظة قبل أن يجيب : « إن وجهه مشوه . ويرجح الطبيب أنه فقد وعيه لقوه . فلم يعرف شيئاً عما نزل به . إن مصابنا فيه أليم . إن معرفتنا به تعتمد على أقدم من معرفتك به ! »
- أجل . هذا صحيح .
- أرجو ألا تسمى غمسي . أنني اعني أن معرفتنا الطويلة به تصاعف من الشعور بفراقه لنا . إن الموت فراق . فراق طويل . هذا هو الموت . يكون الرجل بيننا ، ثم يمضي عنا في لمح البصر .
- أجل ! أنني أدرك ما تريد التعبير عنه .
- هلم بنا إلى فننك . وغداً ، يمكنك أن تعودى لرؤيته .
- وماذا تراشئ فاعلة في فننكي .
- يمكنك استدعاء طبيب ليصف لك منوما . ثم أنك لن تفعل شيئاً بخلفك هنا . هيا بنا . لقد أصبح كلير قايت في عداد الموتى . وليس في وسع أي منا أن يفعل شيئاً إذا ماتت الإنسان ، فكل شيء قد انتهى . هيا معي ، أنني مدرك لما تشعرين به .

كان مفروضاً أن يبدأ الموت بي! انه مصيرى المحتوم الذى كنت أترقبه فى غير وجل!
 وسمعت رنين التليفون - فأسرعت ترفع السماعه -
 وكان المتحدث أحد مندوبى مكاتب تشييع جنازات الموتى
 يعرض خدماته - محلياً وفى الخارج -
 وكانت لا تعرف ماذا ينبغي لها أن تفعل - فأين يا ترى
 هو موطنه لا لقد قال لها أنه من مواليد الأتراس
 والنورين ، ولكنها لم تعرف مسقط رأسه على وجه
 التحديد ؟ وعاد التليفون الى رنينه - وكان الاتصال على
 هذه المرة من المستشفى - ماذا هم فاعلون بالجثة ؟ انها
 يجب أن تسلم بعد الظهر على الأكثر - ويجب أن يعد نعش
 للجثة -

والقت ليلتان نظرة على ساعتها - كان الوقت ، وقت
 الظهيرة - فأسرعت ترعدى ثيابها - أما كان الاجدر بي أن
 أتسبح بالسواد ؟ وكانت ليلتان تشعر بانها ما زالت تحت
 تأثير المخدر الذى تعاطته قبل النوم - وعلى الرغم من كل
 هذه الاتصالات التليفونية ، فقد كانت الريبة تساورها من
 لحظة الى اخرى - وأسرعت تهبط الدرج لقسال موظف
 الفندق النصح والمشورة - وقالت له :
 - أرجو أن تقوم بعمل كل ما تراه ضرورياً فى مثل هذا
 المجال -

وقال لها الموظف ، انه يجب ابلاغ اولى الامر
 بالحادث - وراح يسرد على سمعها ما يستتبع هذا من
 اجراءات لا غنى عنها ، تتصل بالتعويض وبالتأمين ، الى
 الى آخر هذه الشكليات - رياه يبدو ان الموت فى
 حبه أكثر يسراً منه بعد وقوعه - هل تحبل معها
 أوراق تحقيق شخصيته ؟

الفصل العشرون

الفصل العشرون

استيقظت ليلتان من نوم عميق - وظنت لحظة لا تدري
 مما حوّلها شيئاً ، وكان سبل اتصالها بالعالم قد انقضت
 بها - ثم بدأت وخزات الحزن والشجن تحل فى قلبها -
 واستقامت فى فراشها تلتفت فيما حولها - ورويدا
 رويدا ، استعدت ساعات الامس ولحظاته الحرجة -
 من منصة السباق ، الى غرفة الانتظار بالمستشفى -
 ومنها الى كلير ملبت المسجى على فراش الموت بوجهه
 المشوه ، ويديه المضمومتين فى وضع الصلاة ، والطبيب
 الواقف الى جانبها يحاول التسرية عنها -
 ترى - أو كان كل هذا حلماً ؟ أو يمكن أن يحدث
 ذلك لا

ونهدمت من فراشها تصير ستائر النافذة - واندفعت
 أشعة الشمس الى الخرفة - واجتمعت زرقه السماء ، مع
 اشجار النخيل الباسقة ، مع أحواض الزهر اللبائعه ،
 لتجعل من موت كبير غاية أمراً أبعد ما يكون عن الحقيقه
 والادراك -

- أوراق تحقيق الشخصية ! وهل لا زال بحاجة الى مثل هذه الأوراق ؟

- بلى . لان اخطار الشرطة من الاجراءات الضرورية مهما يكن من أمر طبيعة الحادث . وبدون أمر الشرطة لا يمكن نقل الجثة . وما تولى عنك أمر هذه التشكيلات . فشكرته ليليان . لقد كانت تريد أن تغادر المستشفى فوراً . فقد كانت تشعر بأنها على وشك أن يمضى عليها . وتبادر الى ذهنها انها لم تأكل شيئاً منذ ظهر الامس . ولكنها كانت لا تستطيع أن تعود الى مطعم الفندق . وأسرتت تغادر الفندق الى مقهى دى بارى . وجلست تتأمل السيارات وهي فى طريقها الى الكازينو ، وتتابع يتظارها الناس وهم يضطربون فى حياتهم العادية . وما أن فرغت من احتساء قوح القهوة الذى كان أمامها ، حتى نهضت من حيث كانت تجلس وهي لا تلمس على شيء . وحاولت أن تقع نفسها بأنها كانت ستهجره لا محالة . وأنها كانت لن تراه لا فى باريس ولا فى سويسرا ، وأنها كانت قد عقدت العزم على أن تعدد غير موجود فى حياتها . ولم تجد معها أو قل مع نفسها هذه المحاولات . أن موته شيء ، ومجرانها له شيء آخر . واتخذت لها مجلساً فوق أحد المقاعد المعلقة على البحر . وكان ذهنها يضطرب بالكثير مما تريد عمله ، ولكنها كانت لا تدري بماذا تبدأ . وكان طيف كلير فايت ، وموته المفاجيء ، يشغل عينيها تفكيرها .

وعادت أدراجها الى الفندق ، واتجهت الى غرفتها دون أن تتحدث الى أحد . وعند باب غرفتها توقفت وهي فى حيرة من أمرها . لقد سألها موظف الفندق عن أوراق كلير فايت . وكانت فى فزع من خاطر التوجه الى غرفته

للبحث عن هذه الاوراق . واستجمعت قواها وخطت نحو الباب الذى وجدت به مفتاحه ، واقترضت وجود احدى الخادمت بالفرقة لتنظيفها . وشجتها هذا على فتح الباب . ورأت أمامها امرأة جالسة الى الخوان فى حلة رمادية اللون . وبادرتها هذه بسؤالها : ماذا تريدين ؟

وحيل الى ليليان انها أخطأت الغرفة . ولكنها رأت معطف كلير فايت معلقا الى مشجب . فسألتها بدورها : - ماذا تفعلين هنا ؟

- هذا عين ما أردت أن أسألك عنه . اننى شقيقة كلير فايت . ماذا تفعلين من دخولك الى هذه الغرفة ؟ ومن تريدين ؟ !

والقرمت ليليان جانب الصمت . لقد سبق لكلير فايت أن حدثها عن أخت له ليست على علاقة حسنة معه . وأنه لا يعرف عنها شيئاً منذ عدة أعوام . ورجحت ليليان أن هذه هي الشقيقة المعنية . وقالت ليليان أخيراً : - لم أتوقع وجودك هنا . وما دام الامر كذلك ، فليس ثمة ما يستوجب وجودى .

- هذا هو عين الصواب . لقد قيل لى أن شقيقى كانت له علاقة ما باحدى النساء . ترى هل تكونين المعنية بذلك ؟

- ليس هذا من شأنك .

وعادت ليليان أدراجها الى غرفتها . وبدأت تعد حقايبها ، الا انها سرعان ما توقفت عن ذلك . لن أستطيع أن أرحل قبل أن يوارى التراب .

وتوجهت الى المستشفى ، حيث قالت لها ممرضة الاستقبال انها لا يمكن أن يسمح لها بالبقاء نظرة أخرى

على كثير قايت . وانه قد صار تشريح الجثة بناء على طلب أحد أفراد أسرته . وأن الجثة ستودع نعشاً من الزنك ، ثم تنقل الى مسقط رأسه .

وامام المستشفى ، التقت ليليان بمدير السباق ، الذي قال لها : « اننا راحلون هذا المساء . هل التقت بشقيقته ؟ انها تتخذ موقفا عدائيا من الجميع . وقد تقدمت بشكوى الى الشرطة ، وطرقت جميع الابواب . وهي تطالب بمعاش مدى الحياة ، مدعية بأن كثير قايت كان عائلها الوحيد . اننا راحلون . ويحسن بك ان ترحلي ، اسوة بنا : لقد انتهى كل شيء .

— اجل ، لقد انتهى كل شيء .

ومشت على غير هدى في الطرقات . وكانت تنتقل من مفيى الى آخر ، الى أن اقبل المساء وقلبت راجعة الى الفندق . وشعرت بانها جد مرهقة متعبة . وما أن آوت الى فراشها حتى استغرقت في نوم عميق . وصحبت من نومها على صوت رنين التليفون . وكانت شقيقة كثير قايت ترغب في لقاء عاجل بها للتحدث في أمر هام ، ودعتها لزيارتها بفرقتها . غير أن ليليان قالت لها :

— اذا كان لديك ما تريدني التحدث به الي . فتصارحيني به الان .

— انه حديث لا يمكن أن يتم عن طريق التليفون .

— فليكن لقاءنا ، مادام الامر كذلك ، في بهو الفندق .

— انه امر عاجل لا يحتمل التسيوف .

— سنتلقى ظهرا .

ثم أعادت السماعة الي مكائنها . وألقت نظرة على ساعتها ، فوجدتها التاسعة صباحا . لقد قضت في نومها خمسين عشرة ساعة ، ولكنها لم تزل متعبة .

ونهبست الى غرفة الاستحمام ، لتستعين بالماء على ازالة آثار الضول عنها . ومن هناك سمعت طرقا على باب غرفتها . فاسرعت تفتح ثيابها . وقبل ان تتمكن من فتح الباب ، رأت شقيقة كثير قايت تقفم عليها غرفتها قليلة :

— هل تدعين الانسة دنكوك ؟

— يمكن تأجيل أي حديث بيننا الى الساعة الثانية عشرة في بهو الفندق كما سبق أن قلت لك . ليس الان ولا هنا مجال هذا الحديث .

— ولكنني حضرت اليك بنفسى ، وأريد .

— لقد اقتعدت على غرفتي . لا تحملينى على الاتصال بادارة الفندق ، لاتخاذ ما ينبغي حيالك .

— لن أستطيع الانتظار حتى الثانية عشرة ظهرا . ان ساعة قيام قطارى سنكون قبل ذلك . هل تريدني لمخلفات اخى ان تظل منقاة على الاقرين ، الى أن يطيب لسيادتك الحديث معي ؟ ان معى نسخة من مستند شرعى عثرت عليها بين مستندات شقيقى . وليس من شك في أن لديك الاصل . انها بشأن التنازل لك عن بيت بانريفيرا .

— لى أنا ؟

— الا تعرفين شيئا عن ذلك ؟

— اطعيني على هذا المستند .

— ألم يسبق لك الاطلاع عليها ؟

ولم تجب ليليان بشيء . وبعد أن اطرقت قليلا قالت لها :

— وهل هذا ما كنت تريدني التحدث به الي ؟

— ترددت أن ابصرك بأن الامرة ستطعن في هذا التنازل ، ولن تعترف به .

— قد يكون من الخير لك ، أن تقررى رفضك هذا التنازل ، تجنبا لما قد يستتبعه الطعن من استجواب محرج .

— وهل أعددت هذا الاقرار ؟

— انه معي . . ليس عليك الا أن توقعى عليه بامضاءك . يسرني أنك تحسنين تقدير الامور . ومدت ليليان يدها لتناول المستد منها ، ثم مزقته اربا قائلا : « فلتخرجي فورا . لقد ضقت بك ذرعا . » وتمالكت المرأة نفسها قائلة : « لقد قلت أنك لا تعرفين شيئا عن هذا التنازل . »

وانجهت ليليان الى الباب فتفتحه وهي تقول :

— هذا ما عليك أن تكتشفي أمره .
— وهذا ما ساقوم به فعلا . أن الحق في جانبنا . ثمة فارق كبير بين الاقرباء وبين . . .

واسرعت ليليان لتلتقط بعض الزهور التي سبق أن اهداها لها كثير نليت منذ يومين وألفت بها في وجه المرأة . لأنها لم تجد أفضل من هذه الطريقة لاسكاتها . وصرخت المرأة في وجهها قائلة :

— ستدقنين ثمن هذا .
— أغربى عن وجهي .

واتصرفت شقيقة كثير فايت . ووقفت ليليان وأجمة مطرقة . وماضت التبعوع من عينها ، فنقصت عنها كريتها .

استوقفا مرظف الفندق في البهو قائلا : « لقد استجدت بعض المشكلات . »

— وماذا عساها أن تكون ؟

— لقد قضت أوامر شقيقة المتوفى بصنع تعش تنقل به

الجثة الى بلدته ، وذلك بعد أن نفننا أوامرك بصناعة تعش محلي .

— الا يمكن اعادته للمصنع ؟

— حاولت ذلك ، ولكنهم رفضوا . ويمكن اعادته بنصف الثمن .

— فليكن . . أرجو أن تعد لي قائمة الحساب لاننى راحلة هذا المساء .

— حسنا يا سيدتى .



عادت ليليان الى غرفتها . ودق جرس التليفون . ولكنها لم تجب . واستكملت اعداد حقائبها . وفي حقيبة يدها ، عثرت على تذكرة السفر الى زيوريخ ، المحدد لها مساء اليوم بالذات .

ودق جرس التليفون ثانية ، وتجاهلته الى أن توقف رنينه . وشعرت بانقباض شديد وبعاصف من الرعب تحتاج حنايا نفسها . ترى هل تكون وفاة كثير فايت هي خاتمة المظاف ؟ أم ثمة نوازل أخرى يدخرها القدر في جعبته ؟ ترى ماذا ألم بيوريس هو الاخر ؟ ومدت يدها الى التليفون تحاول الاتصال به غير انها عدلت من ذلك في آخر لحظة انه سيمتقد انها لم تتصل به الا بعد وفاة كثير فايت . وهو لن يصدق مهما قالت ، انها كانت قد عقدت العزم على أن تهجر كثير فايت .

وجلست في سكوت تستمع الى حفيف زعف النخيل ، الى ان مالت الشمس في أفق المغرب . ثم نهضت تعترم الرحيل ولكنها ترددت ثانية . انها لن تستطيع السفر قبل أن تستوثق من أن بوريس ما زال على قيد الحياة .

وليس من الضروري أن تتصل به رأساً ، أن فى وسعها أن تتصل بمكان إقامته ولا تفصح عن حقيقة اسمها ، فإذا ما علمت بوجوده قطعت الاتصال التليفونى .
 وتم الاتصال بالمسكن الذى كان يقم به بوريس ، ووجدت أنها تفصح عن حقيقة اسمها ، واتضح لها بعد أخذ ورد أن بوريس غامر المسكن الى حيث لا يعلم أحد بعنوانه الجديد ، واستبد الشك بها ، وتواردت فى خاطرها شتى الظنون . وجلست فى سكون مخيم ، نهباً لتيار شديد من الحيرة والقلق ، وأخيراً نهضت متجهة الى حيث قامت بسداد قائمة الحساب ، وأمرت بنقل حقائبها الى محطة السكك الحديدية .

الفصل الحادى والعشرون

جلست فوق أحد المقاعد أمام المحطة ، وجلس أمريكى الى جانبها يثرثر ويتحدث عما صادفه من مشاق فى أوروبا ويقارن بين طعام بلاده وطعام غيرها من البلاد الأخرى . وكانت ليليان ساهمة الطرف ، شاردة الفكر ، فريسة للشعور العميق بالحزن ، والضياع ، والاسى . ووثع نظرها على الكلب الذى يمدو متجها اليها دون أن تتعرف عليه . وفزع الأمريكى ، وأسرع ينهض مبتعداً ، وتوقف الكلب أمام ليليان ، قبل أن يندفع نحوها ثانية ، ليستقر بساقيه الأماميتين فوق كتفها ، محاولاً أن يلعق وجهها بلسانه ، بينما كان يتبع ويصرخ ، الى أن تجمع الناس من حولهما . ووجدت نفسها أخيراً تصيح : « وولف ، ماذا تفعل هنا ؟ »

وفجأة تخلى الكلب عنها ، ثم اندفع يدعو فى اتجاه رجل كان يجتاز الميادين ، ويعود اليها لاهث الانفاس . ونهضت تتطلع الى حيث وجدت قولوكوف تلامساً ، فصاحت بهتة : « بوريس ! »

— هكذا وفقت فى العثور عليك أخيراً . لقد علمت من

موظف الفندق بانك غادرته الى المحطة . واعتقد اننى وصلت فى الوقت المناسب .

لقد اتصلت بك تليفونيا ، وقيل لى انك رحلت . ولقد خيل الى . .

لقد قرأت عن الحادث فى الصحف . وهذا هو سبب جيئى . ولم اكن اعرف شيئا عن محل اقامتك على وجه التحديد ، والا لكنت قد اتصلت بك تليفونيا . ووقفت تقامله لحظة . ثم سمعته يستطرد قائلا :
- حمدا لله انك بخير . فكل ما عدا ذلك عديم الاهمية .

وفهمت ما يعنيه بقوله هذا . ما عدا ذلك مما أساءت به اليه - ما عدا ذلك من اناية ومن جرح لكبريائه ، لم يعد له مكان بينهما . لقد نسى كل شئ مجرد لقائه بمن احبها واحلها من قلبه فى اعز شغافه .
وعقبت قائلة : - اجل . كل شئ ، عدا ذلك ، لا اهمية له .

- متى تحل ساعة سفرك ؟

- بعد قليل . لم يعد لهذا اية اهمية .

- الى اين كنت تزمعين الرحيل ؟

- الى زيورخ .

- هل تحبين الاقامة فى النيب . فى فندق دى كلاب ؟ هل اسألهم حمل حقائبك اليه ؟

- كلا . دع الحقائب فى مكانها . فلا رغبة لى فى الاقامة فى هذه الانحاء . كما يجب ان تعود من حيث قدمت .

- لا يوجد ما يستدعى عودتى .

- هل تم شفاؤك ؟

- كلا . ولكنى اريد ان اكون معك حيث تكونين .

- ولكن . . .

- لقد أدركت ما دفعك الى الرحيل .

- اذن ، فلماذا لم ترحل معى ؟

- وهل كنت مستواظنين ؟

- كلا . فى الحقيقة ، لا . لم اكن لوافق .

- لائك كنت تريدان ان تخلنى ورائك كل ما يتصل

بمرضك . كنت تريدان الهرب منه .

- ربما كان الامر كذلك . يخيل الى انه ماض بعبد

له الماضى الذى ولى ومضى بكل ظروفه وبكل ملابساته .

- هل تريدان حقا الرحيل الليلة ؟

- اجل .

- سأحاول ان ابتاع تذكرة سفر لى .

وعاد فولوكوف بتذكرة السفر ، قاذلا :

- حينما نصل الى زيورخ ، سنتدبر امرنا .

- اننى اريد العودة .

- العودة ؟ العودة الى اين ؟

- كنت فى طريق العودة - كنت ازمع هذا منذ فترة .

صدقتم أم لم تصدق .

- وماذا يدعونى لعدم تصديقك ؟

- وماذا يدعوك لتصديقى ؟

- لانه سبق لى ان سلكت هذا المسلك . الانطلاق

ثم العودة .

- ولم تستمع الى نصح ؟

- لى ، اذ لا جدوى من ذلك . ومهما يكن من امر ما

يقدم اليانا من نصح ، فلن نعمل غير ما عقدنا العزم عليه ،

ثم نعمل عن مواصلة طريقنا بحد ان نتبين ما تردينا فيه من

خطأ . هذا هو الإنسان فإن لم نعمل ذلك . خيل اليك أنه قد قاتنا الكثير . هل يمكن أن أعرف إلى أين تزمعين الذهب بعد زيورخ ؟
- إلى أية مصحة . أنهم لن يوافقوا على عودتي إلى مصحة بيلافيستا .

- أنهم سيوافقون على عودتك بدون أدنى شك . ولكنك متعبة وبحاجة إلى الراحة مؤقتا إلى أن تستردى بعض عافيتك .

- أريد العودة فوراً . وهذه العودة كنت قد قطعت برأى فيها أجان حياة كثير غايت دون علم منه .
- ولماذا ؟

- لأكثر من سبب . ولم أعد أعني منها شيئا الآن .

- إذا ما قررت التخليف هنا ، فأني مقيم معك . كلا . حسبى ما كان . أنني أريد العودة . ونحن كنت نريد الإقامة هنا ، فليس عليك من حرج ، فلنأخذ أنت الآخر نصيبك من الدنيا .

- لقد كان لي نصيب كبير منها .

- هذا ما سمعت به فعلا .

ومن زيورخ ، اتصل فولكوف تليفونيا بالمصحة . وبادره مدير المصحة قائلا : « أو ما زلت بعد على قيد الحياة ؟ فيمكن ، نحن في انتظارها . »

ومكنت ليليان أسبوعا بفتنق دولدر في زيورخ . وكانت ملازمة فراشها لما كانت تشمر به من أرقاق وفجأة ارتفعت حرارتها دون أن تتخفص لعدة أيام متوالية . واستدعى فولكوف أحدا لأمباء لزيارتها . وصارحه الطبيب :

« كان من المتعين أن تودع أحد المستشفيات من قبل .

ومهما يكن من أمر فلتبقى حيث هي الآن . »

- أنها تريد العودة إلى مصحتها بين الجبال .

- كما تشاء . على أن تحمل على محفة .

ورافقه فولكوف ، وإن كان يبطن خلاف ما يظهر . إن معاملة المرضى معاملة من شرف حياتهم على النهاية ، قد يجعل بنهايتهم ، ويسوء اليوم بأكثر مما تسوء به اليهم المعاملة العادية .

وبادرته قائلة بعد عودته من تشييع الطبيب :

- يا لبوريس المسكين ! ماذا قال الطبيب لك ؟ هل

صارك باننى لن تمتد بي الحياة إلى نهاية الرحلة ؟

- لا شيء من هذا القبيل .

- ولكننى سأقاوم على الرغم مما قاله لك . إلى بكأس

من الفودكا . إن علينا أن نتخذ من كل لحظة نحيها

سلاحا نقاوم به الخوف مما هو آت .



واستقلا السيارة إلى الجبال ، في يوم دافئ ،

معتدل الطقس . وفي أحد المنحنيات التقت سيارتهما

بأخرى تفصح لهما الطريق . وصاحت ليليان : « هولمان

أنت هولمان ! »

- ليليان ، وبوريس ! ولكن .. لحظة ريثما أنتهى

بالسيارة جانبا .

وعاد الراجح اليهما سيرا على قدميه ، وبادرت ليليان

بسؤالها : « ماذا جرى ؟ إلى أين تراك ذاهبا ؟ : »

- لقد قنت لك أنني شفيت ؟ الا تذكرين ؟

- وهذه السيارة ؟

- استعرتها . لأنه لا يجعل بي أن أسافر بالمقطار ، وقد

- الى العمل ؟ مع من ؟

- مع مديري القديم . لقد اتصلوا بي تليفونيا . انهم بحاجة ماسة الى خدماتي . وساعاود نشاطي بالاشتراك مع تورياني . تمنياتك . كم انا مسرور بلقائك ، انها لمصادفة سعيدة !

ولوحت ليليان له بيدها ، وهو في طريقه ليحتل مركز كلير فايت ، كما احتل كلير فايت مركز زميل له من قبل ، وكما سيحتل آخر مركز هولسلن من بعد .



بعد اسابيع ستة ، لفظت ليليان انفاسها الاخيرة ، في يوم صيف ، هذا جوه وسكن . وكانت وفاتها سريعة ، خاطفة ، مفاجئة . ولم يكن الى جانب فراشها احد . وكان بوريس قد ذهب الى القرية في شأن له . وعاد ليجدها مسجاة في فراشها وقد قارقت الحياة . وكان وجهها منقبضا ، محققنا ، مما ينبىء انها لفظت انفاسها نتيجة لنزيف حاد . وكانت بداها قريبة من حتجرتها . وبعد قليل ، استرخت ، واصبح وجهها اجمل مما سبق لبوريس ان رآه عليه من جمال من قبل . وقد حمله هذا على الاعتقاد بانها غادرت الدنيا سعيدة ، سعادة البشر الهانئين .

انها قبل ان تموت . ارادت ان تعيش ، وعرفت كيف تعيش . . !

تمت

رقم التذاع بدار الكتب
١٩٦٦ / ٥٢١١

مصطلح الأهرام التجارية

www.liilas.com

florist

السَّمَاءُ لَا تَحَابِي أَحَدًا

قصة أحلام اليقظة .. تتحرك الشخصيات
فيها لاداء أدوارهم على مسرح الحياة اللاهية
.. فتدفع بهم الأحداث الى المصير الذي لا مفر
منه ولا يهرب حيث تتبدد الأحلام لاصطدامها
بالواقع الذي نحياها ، حين ذلك يتأكد ان
السَّمَاءُ لَا تَحَابِي أَحَدًا .

افتروغيب
ق.ع.م.